[illegible]

مَاذَا تُفِيدُ شُمُوسُ الرَّأْيِ طَالِعَةً ※ وَمَجْدُ صَاحِبِهَا فِي النَّاسِ مَوْءُودُ
لِذَاكَ أَنْفُسُ أَهْلِ الْجِدِّ دَاخِلَهَا ※ فِي الْحَقِّ رَيْبٌ وَفِي الْأَهْوَاءِ تَشْرِيدُ
وَالْعُذْرُ لِلشِّعْرِ إِنْ ضَاعَتْ مَكَانَتُهُ ※ بَيْنَ الْبَرِيَّةِ حَيْثُ الْفَضْلُ مَجْحُودُ
فَلْيَسْكُتِ الشَّاعِرُ الْمَغْبُونُ فِي بَلَدٍ ※ إِنْ غَرَّدَ الطَّيْرُ لَمْ تَشْجُ الْأَغَارِيدُ
يَشْكُو إِلَى اللهِ مَا لَاقَاهُ مِنْ زَمَنٍ ※ وَمِنْ لَيَالٍ تَقَضَّتْ وَهْوَ مَكْمُودُ
فِيهِ الْحَكِيمُ يُوَارِي عِلْمَهُ حَذَرًا ※ كَأَنَّهُ الْعَارُ يُخْشَى فَهْوَ مَصْدُودُ
فَلْيُظْهِرِ الْفَضْلَ بَيْنَ النَّاسِ عَارِفُهُ ※ وَأَجْرُ ذَلِكَ عِنْدَ اللهِ مَرْصُودُ
وَلْيَتْرُكِ النَّاسَ مَهْمَا قَالَ قَائِلُهُمْ ※ فِيهِ وَآلَمَهُ لَوْمٌ وَتَنْدِيدُ
مَتَى تُسَاعِدُنِي الدُّنْيَا عَلَى غَرَضِي ※ فَيَسْتَتِمَّ بِنَشْرِ الْعِلْمِ مَقْصُودُ
لِتَخْلُصَ النَّفْسُ مِنْ شَرِّ الْحُقُودِ وَمِنْ ※ دَهْرٍ أَنَا فِيهِ مَقْهُورٌ وَمَكْدُودُ
فَإِنْ خَلَصْتُ فَهَذَا مَا أُؤَمِّلُهُ ※ وَإِنْ بُلِيتُ فَأَمْرُ اللهِ مَوْعُودُ
وَإِنْ تَكَاثَرَ حُسَّادِي فَلَا عَجَبٌ ※ فَكُلُّ ذِي نِعْمَةٍ فِي النَّاسِ مَحْسُودُ

(م٠م/٢٧٣١/١٩١٣/٨٠٠٠)

وهـذه جمل مملوءة حكما * من دون نشر شذاها الندّ والعود
خرجت فيها عن التعقيد معتقدا * أن السهولة فيها الخير معقود
يسابق الذهن معناها مبادرة * كأنه قبل وقع اللفظ موجود
فيها فنون كأفنان الربا حملت * تيجان زهر عليها الدر منضـود
تشفي الغليل كما تحيي العليل كما * تروح النفس لا دف ولا عـود
على لسان وحوش القفر أسردها * والصدق في الوحش دون الإنس معهود
هي الحرية أن تحدو الحداة بها * وأن تسير بها المهرية القود
تحلو كماء ثمار الروض في ظمإ * أو كالرضاب إذا جادت به الغيد
أمثال صدق تجلت لا مثيل لها * معنى صحيح ولفظ فيـه تجويد
ضمنتها النصح والأغراض شاهدة * وفي لسان الفتى للحق تأييـد
أطلقتها في الورى قيدا ربطت بها * أخلاقهم فهي إطلاق وتقييـد
إن أنشد البيت راويه على ملإ * فللـرواية في الآفاق ترديد
عروس فكر حوت كل الجمال وما * قل لخطابها في مهرها زيدوا
رضيت في مهرها لا الأموال * ينكر الصنع ذي ود مودود
من أين تصلح حال الناس لا أمل * بالإلف بل كلهم شتى عباديد
جفت محابر أهل النطق في زمن * لدولة العي في أهليه تسـويد

(١) متعرفون

وَكَمْ قُلوبٍ بَرَتْها أَعْيُنٌ عَرَضًا ٭ مِنْ أَسْهُمٍ أَرْسَلَتْهَا الْكَاعِبُ الرُّودُ
لَا أَكْذِبُ اللهَ فِي قَوْمِي وَقَدْ خُلِقُوا ٭ وَالْعَيْشُ فِي دِينِهِمْ كَأْسٌ وَتَغْرِيدُ
مَالِي أُعَنِّفُ جُهَّالًا خَبَرْتُهُمُ ٭ سِيَّانِ عِنْدَهُمُ هَدْمٌ وَتَشْيِيدُ
طَارُوا مَعَ الْوَهْمِ وَالْأَيَّامُ مُدْبِرَةٌ ٭ وَكُلُّ مَا مَرَّ فِي الْأَيَّامِ مَفْقُودُ
خَلَائِقٌ كُلُّهَا ضَعْفٌ وَمَنْقَصَةٌ ٭ فَلَا كَمَالٌ وَلَا فَضْلٌ وَلَا جُودُ
لَوْلَا التَّعَلُّلُ بِالْآمَالِ مَا اخْتَلَفَتْ ٭ تِلْكَ النُّفُوسُ وَأَغْرَتْهَا الْمَوَاعِيدُ
كُلٌّ لَهُ غَايَةٌ فِي النَّاسِ يَنْشُدُهَا ٭ بِسَعْيِهِ وَجَمِيلُ السَّعْيِ مَحْمُودُ
وَلَيْسَ يَسْعَدُ كَسْلَانٌ بِرَقْدَتِهِ ٭ وَلَا نَبِيٌّ بِغَيْرِ الْجِدِّ مَعْدُودُ
مَا فَارَقَ السَّعْيَ مُوسَى فِي نُبُوَّتِهِ ٭ وَلَا تَوَانَى نَبِيُّ اللهِ دَاوُدُ
عَجِبْتُ مِنْ فِئَةٍ فِي الْجَهْلِ سَابِحَةٍ ٭ تَبْغِي الْبَقَاءَ وَحَبْلُ الْجَهْلِ مَقْدُودُ
وَالنُّصْحُ مَهْمَا تَجِدْهُ لَا يُفِيدُ فَتًى ٭ كَلَامُهُ فِي مَجَالِ الصِّدْقِ مَرْدُودُ
مَالِي أَرَى الْحَقَّ مُرْخَى الْحَبْلِ مِنْ وَهَنٍ ٭ وَفِي يَدِ النَّاسِ حَبْلُ الزُّورِ مَشْدُودُ
إِذَا بَنَوْا بَيْتَ غِشٍّ أَحْكَمُوهُ وَإِنْ ٭ بَنَوْا لَهُمْ بَيْتَ نُصْحٍ فَهْوَ مَهْدُودُ
ائِنْ طَوَيْتُ بِسَاطَ الْقَوْلِ مِنْ حِكَمٍ ٭ فَاعْذُرْ فَإِنَّ بِسَاطَ الْجَهْلِ مَمْدُودُ
يَكْفِي مِنَ الْوَعْظِ مَا قَدْ سَالَ مِنْ قَلَمِي ٭ كَمَا كَفَى مِنْ ثِمَارِ الْكَرْمِ عُنْقُودُ
حَسْبُ اللَّبِيبِ الذَّكِيِّ الْقَلْبِ مَوْعِظَةٌ ٭ بِالرَّمْزِ وَالْوَحْيِ لَا لَفْظٌ وَتَرْدِيدُ

وَذَا تَقِيٌّ نَقِيُّ الذَّيْلِ طَاهِــرُهُ * وَلَيْـلُهُ كُلُّهُ وِرْدٌ وَتَهْجِيــدُ
وَذَاكَ قَدْ دَوَّخَ الدُّنْيَـا بِقُدْرَتِهِ * فَلاَ يُنَـازِلُهُ فِي الْحَرْبِ صِـنْدِيدُ
وَذَا ضَعِيفٌ يَكَادُ الظَّنُّ يَقْتُـلُهُ * كَأَنَّهُ بِقُيُودِ الْوَهْمِ مَصْـفُودُ
وَذَا يَتِيمٌ ذَلِيـــلٌ لاَنَصِــيرَ لَهُ * وَقَلْبُــهُ مِنْ هُمُومِ الدَّهْرِ مَنْجُودُ
أَنْحَى الزَّمَانُ عَلَيْهِ وَهْوَ فَرْخُ قَطًا * وَاهِي الْعَزِيمَةِ عِنْدَ الْخَطْبِ رِعْدِيدُ
إِذَا تَجَــلَّى هِلاَلُ الْعِيــدِ قَالَ لَهُ * (عِيــدٌ بِأَيَّةِ حَالٍ عُدْتَ يَاعِيــدُ)
وَذَا فَقِــيرٌ وَلاَ قَلْبٌ يَحِنُّ لَهُ * يَجُوبُ آفَاقَ بِيــدٍ بَعْدَهَا بِيــدُ
يُقِيمُ فِي الْبُؤْسِ لاَعَوْنٌ وَلاَ مَدَدٌ * الدَّهْرُ بُؤْسٌ لَهُ وَالْعُمْرُ تَنْكِيــدُ
وَذَاكَ فِي يُسْرَةٍ وَالدَّهْرُ خَادِعُهُ * يَبْنِي الْأَمَانِيَّ وَالْمَبْــنِيُّ مَهْـدُودُ
لَيْسَتْ حَيَاةُ الْفَتَى فِي جَمْعِ ثَرْوَتِهِ * فَإِنَّمَـا جَمْعُهَا بِالشُّــحِّ تَبْـدِيدُ
إِنَّ الْحَيَـاةَ بِذِكْرٍ خَالِدٍ فَإِذَا * قَضَى الْفَتَى نَحْبَــهُ فَالذِّكْرُ تَخْلِيـدُ
وَذَاكَ قَدْ حَلَبَ الْأَيَّامَ أَشْطُرَهَا * فَلاَ يُرَاوِغُهُ فِي دَهْرِهِ السِّــيدُ
وَذَاكَ فَظٌّ غَلِيظُ الْقَلْبِ ذُوصَلَفٍ * كَأَنَّهُ بِجُمُودِ الْوَجْهِ صَيْخُودُ(١)
وَذَا تَجَمَّعَ مِنْ لُطْفٍ وَمِنْ أَدَبٍ * وَرُبَّ خُلُقٍ لَهُ فِي الْخَلْقِ تَفْرِيدُ
وَذَاكَ تُزْرِي بِبَــدْرِ التِّمِّ طَلْعَتُهُ * وَفِي مُحَيَّـاهُ إِشْرَاقٌ وَتَوْرِيدُ
وَذَا يَمِيــلُ إِلَى خَمْرٍ مُعَتَّقَــةٍ * وَذَاكَ قَدْ تَيَّمَتْهُ الْأَعْيُنُ السُّودُ

(١) صخــر

وذاك مغرى بتاج الملك يحرزه * دون الأنام وصفو الملك تنكيد
ما لذة الملك إن دار الزمان به * والملك كالرزق مقسوم ومحدود
والدر في البحر لا يدرى بقيمته * إلا إذا ضمه في عقده الجيد
والخلق شتى فلا عتب ولا عنت * كل له موقف في الأرض مشهود
هذا حريص وبئس الحرص ينفعه * وبابه في وجوه الناس موصود
يعيش يجمع أموالا ويتركها * وإنما المال للأخلاف مرصود
وذا جواد أطالوا في مذمته * وما رأينا جوادا عابه الجود
وللسماحة أخلاق مهذبة * وللمكارم أبطال مناجيد
إن الكريم ليخفي عنك عسرته * حتى تراه غنيا وهو مجهود
بث النوال ولا تمنعك قلته * فكل ما سد فقرا فهو محمود
وذاك قد ضاع في الدنيا لفطنته * وهكذا بحر أهل الفضل مثمود(١)
وذا مع الجهل داء الكبر قاتله * لا حلم فيه ولا في الرأي تسديد
يمسي ويصبح لا حزم ولا غرض * لكنه ناعم بالعمر مجدود
وذاك في قلبه وهم يحركه * إذا رأى البرق قال البرق تهديد
وذاك في نفسه من دهره وهن * والدين في رأيه للناس تقييد

---

(١) قليل

الخاتمة

الْكَوْنُ دَلَّكَ أَنَّ اللهَ مَوْجُودُ * وَلَيْسَ لِلْخَلْقِ غَيْرَ اللهِ مَعْبُودُ
هُوَ الْقَدِيمُ وَكُلُّ النَّاسِ حَادِثَةٌ * وَلِلْخَلَائِقِ فِي الْأَجْيَالِ تَجْدِيدُ
يُعْطِي وَيَمْنَعُ وَالْأَقْدَارُ سَابِقَةٌ * فِي اللَّوْحِ وَالنَّاسُ مَنْكُودٌ وَمَسْعُودُ
يَا مَنْ طَوَيْتَ أَدِيمَ الْأَرْضِ مُلْتَمِسًا * مَالًا وَمَا أَنْتَ بِالْأَمْوَالِ مَوْعُودُ
قَدْ تُمْنَعُ الْأُسْدُ قَسْرًا عَنْ فَرِيسَتِهَا * وَفِي صُخُورِ الْفَيَافِي يُرْزَقُ الدُّودُ
لَا شَيْءَ أَعْجَبُ فِي الْأَيَّامِ مِنْ رَجُلٍ * يَرْجُو الْخَلَائِقَ وَالْخَلَّاقُ مَوْجُودُ
يَطْوِي الْفَتَى عُمْرَهُ مِنْ غَيْرِ مَعْرِفَةٍ * كَأَنَّهُ بَعْدَ طُولِ الْعُمْرِ مَوْلُودُ
يَحَارُ مَنْ قَلَّبَ الدُّنْيَا بِنَاظِرِهِ * كَمَا يَحَارُ فَتًى تَاهَتْ بِهِ الْبِيدُ
مَالِي أَرَى النَّاسَ بِالْآمَالِ مُوَلَّعَةً * وَمَا لَهُمْ فَوْقَ وَجْهِ الْأَرْضِ تَخْلِيدُ
هَذَا أَدِيبٌ رَمَاهُ الْبُؤْسُ فِي بَلَدٍ * لَا يَعْرِفُ الْفَضْلَ وَالْمِفْضَالُ مَنْكُودُ
ضَاقَتْ بِهِ الْأَرْضُ حَتَّى ضَلَّ مَذْهَبُهُ * وَقَلْبُهُ مِنْ هُمُومِ الدَّهْرِ مَفْؤُودُ (١)
يَمْشِي فَتَحْسَبُهُ مِنْ سُقْمِهِ شَبَحًا * مَرَّتْ عَلَيْهِ اللَّيَالِي وَهُوَ مَجْحُودُ
وَذَاكَ قَدْ خَبَرَ الدُّنْيَا بِحِكْمَتِهِ * فَلَيْسَ يَخْدَعُهُ تَقْرِيبٌ وَتَبْعِيدُ
يَرَى الْحَيَاةَ بِعَيْنِ الْمُشْتَهِينَ بِهَا * وَالْكَوْنُ فِي عَيْنِهِ كَالظِّلِّ مَمْدُودُ
إِذَا بَدَا الصُّبْحُ لَا تُلْهِيهِ بَهْجَتُهُ * وَإِنْ دَجَا اللَّيْلُ لَا يُضْنِيهِ تَسْهِيدُ

(١) مريض بفؤاده

العظة التـاسعة والتسعون

(الحَمَامَةُ وَالعَقْعَقُ)(١)

حَمَـامَةٌ سَاكِنَةٌ فِي وَكْرِ * بِقُرْبِ عَقْعَقٍ شَدِيدِ النُّكْرِ
بَدَّلَ صَفْوَ العَيْشِ مِنْهَا بِالْكَدَرْ * وَسَاقَهَا إِلَى جِوَارِهِ القَدَرْ
يَابُؤْسَ مَنْ يُجَاوِرُ المَنْكُودَا * وَسَعْدَ مَنْ يُجَاوِرُ المَسْعُودَا
فَكَانَ جَارُ السُّوءِ يُؤْذِي أَهْلَهْ * وَيَخْلُقُ الذَّنْبَ بِغَـيْرِ عِلَّهْ
وَكُلَّمَـا أَذَاقَهَا صُـــنُوفَا * مِنَ الْعَذَابِ زَادَهَا صُرُوفَا
فَتُظْهِرُ اللِّينَ لَهُ عِتَـابَا * وَلَا تَرَى مِنْ نَفْسِهِ صَوَابَا
وَتَشْرَحُ الشَّكْوَى لِتِلْكَ الجَارَهْ * مِمَّـا تَذُوقُهُ مِنَ المَرَارَهْ
تَقُولُ زَوْجِي كُلُّهُ عُيُوبُ * وَكُـلُّ مَايَفْعَلُهُ ذُنُوبُ
لَا يَعْرِفُ الْفَضْلَ وَلَا ذَوِيهِ * وَكُلُّ قُبْحٍ فِي الْوُجُودِ فِيـهِ
فِي الصُّبْحِ لَا يُفَارِقُ العُقَارَا * وَفِي الدُّجَى لَا يَتْرُكُ القِمَارَا
قَالَتْ لَهَا جَارَتُهَا الحَمَـامَهْ * خَلِّ الْعِتَابَ وَاتْرُكِي المَلَامَهْ
فَالْغَيْثُ لَا يَخْلُو مِنَ الْعُيُوبِ * وَالْعَيْبُ فِي الشَّبَابِ وَالمَشِيبِ
أَيُّ امْرِئٍ مِنَ الْعُيُوبِ قَدْ خَلَا * جَلَّ الَّذِي لَا عَيْبَ فِيهِ وَعَلَا

(١) طائر على قدر الحمـامة وهو على شكل الغراب و يقال له القعقع أيضا والعرب تتشاءم به وتضرب به المثل فى السرقة والخيانة والخبث

العظة الثامنة والتسعون

(العُصْفُورُ الحَبَشِيُّ وَالبُلْبُلُ)

عَصْفُورُ حِبْشَانٍ تَرَنَّمَ قَائِلًا ✻ فِي الطَّيْرِ مَالِي فِي الغِنَاءِ مُمَاثِلُ
وَعَلَى البَلَابِلِ جَرَّ ذَيْلَ فَخَارِهِ ✻ قَوْلًا وَيَأْبَى الفَضْلُ مَا هُوَ قَائِلُ
فَأَتَى يُبَارِيهِ امْتِحَانًا بُلْبُلٌ ✻ لِيُبِينَ أَيُّهُمَا الدَّعِيُّ الجَاهِلُ
وَإِلَى الطُّيُورِ تَقَاضَيَا فِي رَوْضَةٍ ✻ طَلَبًا لِحُكْمِ الحَقِّ وَهُوَ الفَاصِلُ
فَتَرَنَّمَ الحَبَشِيُّ يُبْدِي فَضْلَهُ ✻ فَشَجَا ذَوِيهِ غِنَاؤُهُ المُتَوَاصِلُ
وَالبُلْبُلُ الغِرِّيدُ صَاحَ كَأَنَّهُ ✻ عُودُ المَسَرَّةِ حَرَّكَتْهُ أَنَامِلُ
فَتَشَبَّعَتْ أَذْهَانُ مَنْ سَمِعُوهُمَا ✻ وَلِكُلِّ قَلْبٍ مِنْ هَوَاهُ شَاغِلُ
كُلٌّ لَهُ غَرَضٌ فَهٰذَا عَاذِرٌ ✻ فِي حُكْمِهِ الجَارِي وَهٰذَا عَاذِلُ
شَهِدَ الغُرَابُ لِمِثْلِهِ لِسَوَادِهِ ✻ وَكِلَاهُمَا مُتَجَانِسٌ مُتَشَاكِلُ
وَأَصَرَّ فِي هٰذَا الضَّلَالِ وَرَهْطُهُ ✻ تَبَعًا يُؤَيِّدُ زَعْمَهُ وَيُنَاضِلُ
حَتَّى إِذَا اشْتَدَّ الجِدَالُ بِغَيْرِ مَا ✻ جَدْوَى وَكُلٌّ صَاخِبٌ وَمُجَادِلُ
رَدَّ الهَزَارُ عَلَى الدَّعِيِّ بِقَوْلِهِ ✻ هَيْهَاتَ لَيْسَ الطَّائِلَ المُتَطَاوِلُ
لَا خَيْرَ فِي أَغْصَانِ رَوْضٍ مُثْمِرٍ ✻ إِنْ لَمْ تُغَرِّدْ فَوْقَهُنَّ بَلَابِلُ
أَنَا مَنْ دَرَى أَهْلُ السَّمَاعِ تَفَوُّقِي ✻ وَالحَقُّ لَا يَعْلُو عَلَيْهِ البَاطِلُ
وَإِذَا أَتَتْكَ مَذَمَّتِي مِنْ نَاقِصٍ ✻ فَهِيَ الشَّهَادَةُ لِي بِأَنِّي كَامِلُ

صَـــنَائِعُ مُحْكَمَةُ الإِتْقَـانِ * مِنْ عَمَلِ الفِكْرَةِ وَالبَنَـانِ
لَا يَطْمَعُ العَـالَمُ فِى الكَمَالِ * إِلَّا بِجَمْعِ الشَّمْلِ فِى الأَعْمَالِ
وَقُـوَّةُ الأَعْمَـالِ بِاتِّحَـادِ * وَالضَّعْفُ كُلُّهُ بِالانْفِـرَادِ
وَعُزْلَةُ الإِنْسَانِ لِلإِخْوَانِ * مِنْ أَكْبَرِ الخُسْرَانِ وَالخِذْلَانِ
إِنْ قِيلَ فِيهَا رَاحَةُ الضَّمِيرِ * فَكَمْ بِهَـا مِنْ ضَرَرٍ كَبِيرِ
فَبِالتَّعَـارُفِ ائْتِلَافٌ يَنْفَعُ * وَبِالتَّنَاكُرِ اخْتِلَافٌ يُوقِعُ
وَالقَصْدُ مِنْ حُرِّيَّةِ البِلَادِ * تَوَفُّـــرُ الرَّاحَةِ لِلْعِبَـادِ
يَبِيتُ فِى الدَّارِ أَمِينَ الغَبْنِ * رَبُّ الغِنَى فِى رَاحَةٍ وَأَمْنِ
وَيَأْخُذُ الضَّعِيفُ كُلَّ حَقِّ * وَيَعْتِقُ القَوِىُّ عَبْدَ الرِّقِّ
لَا تَرْهَبُ السُّفِينُ قَطْعَ البَحْرِ * وَلَا يَخَافُ النَّاسُ سَيْرَ البَرِّ
وَيَنْبُغُ الكُتَّابُ فِى التَّحْرِيرِ * بِنَشْرِهِمْ مَذَاهِبَ الضَّمِيرِ
وَتُتْرَكُ الدَّعْوَةُ لِلْمَذَاهِبِ * لِكُلِّ غَادٍ دِينُـهُ وَذَاهِبِ
وَتُفْتَحُ الأَبْوَابُ لِلْمَدَارِسِ * فِى وَجْهِ مُوسِرٍ وَوَجْهِ بَائِسِ
وَتَدْخُلُ الأَرْزَاقُ لِلتُّجَّارِ * مِنْ سَائِرِ الأَجْنَاسِ وَالأَقْطَارِ
هٰذِى هِىَ الحُرِّيَّةُ الصَّحِيحَهْ * وَهٰـذِهِ نِعْمَتُهَـا الرَّجِيحَهْ
تَمَتُّعُ الإِنْسَانِ فِى الحَيَـاةِ * بِحَقِّهِ مِنْ أَعْظَمِ الهِبَـاتِ

العظة السابعة والتسعون

(الحُرِّيَّة)

مَا وَهَبَ الرَّحْمٰنُ لِلْبَرِيَّهْ * أَفْضَلَ مِنْ مَوْهِبَةِ الحُرِّيَّهْ
فَضِيلَةٌ رَفِيعَةُ المَكَانِ * وَأَكْبَرُ الصِّفَاتِ لِلإِنْسَانِ
سِرُّ النُّبُوغِ وَنَجَاحُ الأُمَمِ * سِرُّ الرُّقِيِّ وَعُلُوِّ الهِمَمِ
سِرُّ النِّظَامِ سِرُّ فِعْلِ العَقْلِ * سِرُّ القَوَانِينِ وَسِرُّ العَدْلِ
مَجْدُ الحُكُومَاتِ وَمَجْدُ الوَطَنِ * مَعْنَى الحَيَاةِ وَحَيَاةُ الفَطِنِ
قَدْ قُيِّدَتْ لِنَظْمِ سَيْرِ المُلْكِ * بِكُلِّ قَانُونٍ دَقِيقِ السِّلْكِ
وَالرَّجُلُ الحُرُّ بِأَصْغَرَيْهِ * يَعْرِفُ مَالَهُ وَمَا عَلَيْهِ
لَهُ القِيَامُ بِالَّذِي يَرَاهُ * مِنْ عَمَلٍ وَرَفْضِ مَا يَأْبَاهُ
وَالمَرْءُ كُلُّ فِعْلِهِ بِطَبْعِهِ * يَظْهَرُ قَدْرُ عَقْلِهِ بِصُنْعِهِ
لَوْلَا وُجُودُ الفَرْقِ فِي الرِّجَالِ * مَا عُرِفَتْ مَحَاسِنُ الخِلَالِ
الفَضْلُ كُلُّ الفَضْلِ لِلْعُلُومِ * وَأَهْلُهُ الهُدَاةُ كَالنُّجُومِ
بِهِ انْجَلَتْ حَقِيقَةُ الطَّبِيعَهْ * وَعُرِفَتْ مَنَاهِجُ الشَّرِيعَهْ
وَكَثُرَ العُمْرَانُ فِي الأَرْجَاءِ * وَامْتَدَّتِ الفُنُونُ فِي الأَنْحَاءِ
وَظَهَرَتْ كَالشَّمْسِ فِي النَّهَارِ * حِكْمَةُ الاخْتِرَاعِ لِلْأَبْصَارِ

فَإِنَّمَا الأَوْطَانُ بِالرِّجَالِ * وَبِالرِّجَالِ قِيمَةُ الأَعْمَالِ
يَا طَالِبَ الرَّاحَةِ فِي الحَيَاةِ * لَا رَاحَةٌ إِلَّا مَعَ المَمَاتِ
حَقِيقَةُ الحَيَاةِ لَيْسَتْ تُدْرَكُ * إِلَّا لِمَنْ بِاللهِ لَيْسَ يُشْرِكُ
مُسْتَمْسِكٌ بِصِحَّةِ الإِيمَانِ * مُسَلِّمِ الأُمُورِ لِلرَّحْمٰنِ
يَعْرِفُ أَنَّ المَوْتَ مُنْتَهَاهُ * وَيُؤْثِرُ الأُخْرَى عَلَى دُنْيَاهُ
التَّرْكُ لِلدُّنْيَا النَّجَاةُ مِنْهَا * لَمْ تَرَ أَنْهَى لَكَ مِنْهَا عَنْهَا

العظة السادسة والتسعون

(الحَيَّةُ وَدُودَةُ الدَّمِ)

فِي سَالِفِ الدَّهْرِ قَالَتْ حَيَّةُ الوَادِي * لِدُودَةٍ رِيُّهَا مِنْ مَصِّ أَجْسَادِ
كَيْفَ افْتَرَقْنَا وَأَصْلُ الخَلْقِ يَجْمَعُنَا * بَيْنَ الخَلَائِقِ فِي قُرْبٍ وَإِبْعَادِ
هُمْ يَجْعَلُونَكِ فِي الأَبْدَانِ رَاتِعَةً * وَيُورِدُونَكِ وِرْدَ النَّاعِمِ النَّادِي
أَمَّا أَنَا إِنْ رَأَوْنِي بَيْنَهُمْ نَفَرُوا * كَنَفْرَةِ الشَّاةِ مِنْ أَظْفَارِ آسَادِ
سَقَوْكِ مِنْ دَمِهِمْ حَتَّى ارْتَوَيْتِ بِهِ * حُبًّا وَفُزْتِ مِنَ الأَجْسَامِ بِالزَّادِ
قَالَتْ لَهَا إِنَّ رَشْفِي مُبْرِئٌ عِلَلًا * لٰكِنَّ لَدْغَكِ لَدْغُ القَاتِلِ العَادِي
إِنْ كُنْتِ أَيْقَنْتِ أَنَّ الشَّكْلَ مُتَّحِدٌ * فَفِي الفَعَائِلِ فَرْقٌ ظَاهِرٌ بَادِ
النَّاسُ أَخْلَاقُهُمْ شَتَّى وَإِنْ جُبِلُوا * عَلَى تَشَابُهِ أَرْوَاحٍ وَأَجْسَادِ

وَلَمْ نَجِدْ فِيهِ رَخِيَّ البَـالِ * إِلَّا الَّذِي يَرْضَى بِدُونِ الحَالِ
لَيْسَ الغِنَى بِكَثْرَةِ الأَمْوَالِ * إِنَّ الغِنَى قَنَـاعَةُ الرِّجَالِ
قَدْ يَكْثُرُ المَالُ وَلٰكِنْ صَاحِبُهْ * تُفْقِرُهُ عَلَى الغِـنَى مَتَاعِبُهْ
وَالسُّقْمُ يُنْسِي فِتْنَةَ الأَمْوَالِ * وَالحُبَّ لِلدُّنْيَا وَلِلْعِيَـالِ
وَالنَّاسُ فِي طَرِيقِهِمْ أَجْنَاسُ * أَغْلَبُهُمْ فِي فِعْلِهِمْ أَنْجَـاسُ
تَلْتَمِسُ النَّاسُ إِلَى الكِفَايَهْ * وَحِرْصُهَا لَيْسَ لَهُ نِهَـايَهْ
فَطَالِحٌ فِي سَيْرِهِ وَصَالِحُ * كُلٌّ لَهُ فِي سَيْرِهِ صَوَالِحُ
يَضِيعُ مَنْ كَانَ قَلِيلَ الحِيلَهْ * وَلَوْ يَكُونُ سَـيِّدَ القَبِيلَهْ
لَيْسَتْ حَيَاةُ المَرْءِ بِالمَلَاهِي * فَخْرًا بِهَا يُعْجِبُ أَوْ يُبَاهِي
تَفْتِنُهُ الدُّنْيَا بِحُبِّ نَفْسِـهِ * حَتَّى يَبِيتَ ثَاوِيًا فِي رَمْسِهِ
وَمَنْ يَعِشْ لِنَفْسِهِ فِي أُمَّهْ * كَانَ بَلَاءً عَيْشُهُ وَغُمَّـــهْ
وَإِنَّمَا الحُرُّ رَحِيبُ الصَّدْرِ * يَلْقَى صُرُوفَ دَهْرِهِ بِالصَّبْرِ
يُقَاوِمُ الإِقْبَـالَ وَالإِدْبَارَا * بِحِكْمَةٍ وَيَصْرِفُ الأَكْدَارَا
يَنْتَهِزُ الفُرْصَـةَ فِي الزَّمَانِ * فَيَجْتَنِي طُرْفَةَ كُلِّ آنِ
وَيَفْتَدِي أَوْطَانَهُ بِالعُمْـرِ * فَالنَّاسُ أَخْبَارٌ وَحُسْنُ ذِكْرِ
لَا شَيْءَ فِي الدُّنْيَا كَحُبِّ الوَطَنِ * وَلَا حَيَاةَ بَعْدَهُ فِي الزَّمَنِ

نَـــالَهُ غَـــيْرَ أَنَّهُ ❊ لَمْ يَعِشْ عَيْشَ رَاشِدِ
حَبَسَ المَالَ حَاسِباً ❊ أَنَّهُ غَـــيْرُ بَائِـــدِ
حَيْثُ جَازَتْ مَبَرَّةٌ ❊ جَازَهَا لَمْ يُسَـاعِدِ
ظَلَّ فِي بُخْـلِهِ إِلَى ❊ أَنْ مَضَى غَيْرَ عَائِدِ
حَسِبَ العُمْرَ خَالِدًا ❊ لَيْسَ شَيْءٌ بِخَـالِدِ
مَاتَ عَنْ كُلِّ مَا ٱقْتَنَى ❊ مِنْ طَرِيفٍ وَتَالِدِ
وَبِهِ النَّاسُ مُتِّعَتْ ❊ مِنْ مُرِيبٍ وَصَائِدِ
أَنْعِـــمِي أُمَّ خَالِدٍ ❊ رُبَّ سَاعٍ لِقَـاعِدِ

العظة الخامسة والتسعون

(الحيـاة)

إِنَّ الحَيَاةَ نَصَبٌ يُنَاصِبُ ❊ نَلْعَبُ فِيهَا وَبِنَـا تَلَاعَبُ
أَثْمَـارُهَا زَاهِيَـةٌ وَدَانِيَـهْ ❊ كَثِيرَةُ النَّعِـيمِ لٰكِنْ فَانِيَـهْ
المَوْتُ فِيهَـا أَكْبَرُ الآفَاتِ ❊ لِكُلِّ مَاضٍ وَلِكُلِّ آتِ
فَهَوِّنِ الأَمْرَ تَعِشْ فِي الزَّمَنِ ❊ بِمَأْمَنٍ مِنْ طَارِئَاتِ المِحَنِ
فَمَا لَنَا فِي الدَّهْرِ مِنْ نَصِيبِ ❊ غَيْرَ الأَسَى وَالرُّزْءِ فِي الحَبِيبِ
يَا أُخْذُ إِنْ حَسَبْتَ كُلَّ مَا وَهَبْ ❊ لَا رَاحَةٌ تَبْقَى بِهِ وَلَا تَعَبْ

أَبْدَى لَهُ الْجَمَلُ الصَّبُورُ نَصِيحَةً * أَنْ لَا يَكُونَ مُسَبِّبَ الْأَكْدَارِ
لَمْ يَقْبَلِ النُّصْحَ الْحِمَارُ لِجَهْلِهِ * وَالنُّصْحُ لَا يَأْبَاهُ غَيْرُ حِمَارِ
قَالَ بِتَكْرَارِ النَّهِيقِ مُرَدِّدًا * بِصَدَاهُ بَيْنَ رُبًا وَبَيْنَ قِفَارِ
فَأَتَى كَمِثْلِ الْبَرْقِ رَكْبٌ طَالِبٌ * صَيْدًا عَلَى الصَّهَوَاتِ وَالْأَكْوَارِ
أَوْقَى الْحِمْلَ عَلَيْهِمَا فَاسْتَلَّهُمَا * وَتَوَلَّيَا مَعَهُ بِغَيْرِ خِيَارِ
فَتَصَبَّرَ الْجَمَلُ الْحَزِينُ وَقَالَ إِذْ * لَمْ يَلْقَ أَصْلًا حِيلَةً لِفِرَارِ
إِنَّ الْقَضَاءَ مُحَتَّمٌ لَا حَوْلَ لِي * فِيهِ وَهَلْ رَدُّ الْقَضَاءِ الْجَارِي
غَيْرِي جَنَى وَأَنَا أُقَاسِي جُرْمَهُ * فَالْحُكْمُ حُكْمُ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ
جَانِبْ خَلِيطَ السُّوءِ وَامَنْ شَرَّهُ * وَانْبِذْ لِتَسْلَمَ صُحْبَةَ الْأَغْرَارِ

العظة الرابعة والتسعون

(جَامِعُ الْمَالِ)

جَمَعَ الْمَالَ كَادِحٌ * مِنْ جَمِيعِ الْمَوَارِدِ
وَقَضَى الْعُمْرَ كُلَّهُ * فِي عَنَاءِ الْمُجَاهِدِ
بَيْنَ سَعْيٍ لِرِزْقِهِ * وَدِفَاعٍ لِحَاسِدِ
نَالَ بَعْدَ الْعَنَا الْغِنَى * وَتَمَامَ الْمَقَاصِدِ

أَنَّ الجَمِيلَ غَنِيٌّ مِنْ طَبِيعَتِـهِ ‏ ◦ بِحُسْنِهِ عَنْ جَمَالِ الحَلْىِ وَالحُلَلِ
قُولُوا لِمَنْ بَاتَ مَشْغُولًا بِزُخْرُفِهِ ◦ لَيْسَ التَّكَحُّلُ فِي العَيْنَيْنِ كَالكَحَلِ

العظة الثالثة والتسعون

(الجَمَلُ وَالحِمَارْ)

الوَعْظُ فِي سَـيَّارَةِ الأَشْـعَارِ ◦ أَهْـدَى بِمَسْرَاهُ مِنَ الأَقْمَـارِ
فَانْظِمْ حِكَايَاتِ الوَقَائِعِ دَائِمًـا ◦ مَرْوِيَّةً بِحَقَـائِقِ الأَخْبَـارِ
وَاشْرَحْ غَوَامِضَ مَا تُكِنُّ ضَمَائِرٌ ◦ وَاكْشِفْ سِتَارَ مَوَاضِعِ الأَسْرَارِ
فِي مِصْرَ حَادِثَةٌ جَرَتْ مِنْ سَالِفٍ ◦ سَارَتْ بِهَا الرُّكْبَانُ فِي الأَمْصَارِ
جَمَـلٌ أَقَامَ مَعَ الحِمَارِ مُمَتَّعًـا ◦ فِي رَوْضَـةٍ غَنَّاءَ ذَاتِ ثِمَـارِ
عَاشَا مَعًـا فِي صُحْبَـةٍ وَمَوَدَّةٍ ◦ فِي حَالَةِ الإِيسَارِ وَالإِعْسَـارِ
لَمْ يَحْذَرَا كَيْـدًا مِنَ الدُّنْيَا وَلَا ◦ فِعْـلَ الزَّمَانِ الخَائِنِ الغَـدَّارِ
وَالدَّهْرُ يَفْتِنُ وَاللَّيَـالِي قُلَّبٌ ◦ وَالمَرْءُ بَيْنَ مَخَالِبِ الأَخْطَـارِ
أَمَلٌ هِيَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا سِوَى ◦ أَمَلٍ مَعَ الأَقْبَـالِ وَالإِدْبَارِ
لمـا رَأَى ذَاكَ الحِمَارُ رِعَايَةً ◦ مِنْ حَظِّـهِ أَدْلَى بِذَيْلٍ نَخَـارِ
لَمْ تَصْلُحِ النُّعْمَى لَهُ وَلَطَالَمَا ◦ فَسَدَتْ عَلَى المُتَكَبِّرِ الجَبَّـارِ
رَامَ النَّهِيقَ مُؤَمِّلًا بِنَهِيقِـهِ ◦ هٰـذَا مُحَاكَاةَ الهِزَبْرِ الضَّارِي

العظة الثانية والتسعون

(الهِرّانِ المُرائيانِ)

قَدْ كَانَ هِرَّانِ فِي دَارٍ بِلَا ذَنَبٍ * لَمْ يَكْرُمَا حَيْثُمَا حَلَّا لَدَى رَجُلِ
عَاشَا مِنَ النَّقْصِ فِي هَمٍّ وَفِي نَكَدٍ * وَالنَّقْصُ مِنْ أَكْبَرِ الآفَاتِ وَالْعِلَلِ
وَكُلَّمَا نَظَرَا هِرًّا لَهُ ذَنَبٌ * فِي الدَّارِ يَخْتَالُ بَيْنَ اللَّمْسِ وَالْقُبَلِ
وَدَّا لَوَ اَنَّ لِكُلٍّ مِنْهُمَا ذَنَبًا * يَجُرُّهُ مُعْجَبًا فِي كُلِّ مُحْتَفَلِ
فَالْمَرْءُ لَيْسَ لَهُ عَيْشٌ بِلَا ذَنَبٍ * وَلَا تَمَتُّعُ فِي حِلٍّ وَمُرْتَحَلِ
فَفَكَّرَا أَنْ يَؤُمَّا دَارَ مُخْتَرِعٍ * وَلَا يُقِيمَا عَلَى ضَيْمٍ مِنَ الْكَسَلِ
رَاحَا إِلَى مُتْقِنِ الأَذْنَابِ يَصْنَعُهَا * صُنْعَ الْحَقِيقَةِ لَمْ تُحْسَبْ وَلَمْ تُخَلِ
فَنَاطَ فَوْرًا لِكُلٍّ مِنْهُمَا ذَنَبًا * يَحْكِي الأُصُولَ سَوِيًّا مُتْقَنَ الْعَمَلِ
وَبَعْدَ ذَلِكَ حَلَّا بَيْتَ مَكْرُمَةٍ * لَاقَاهُمَا صِبْيَةٌ فِيهِ عَلَى عَجَلِ
يُدَاعِبُونَهُمَا لَهْوًا وَتَسْلِيَةً * عَلَى الدَّوَامِ بِلَا رِفْقٍ وَلَا مَلَلِ
حَتَّى إِذَا جُوذِبَا ذَيْلَيْهِمَا انْخَلَعَا * وَبَاتَ كُلٌّ مِنَ الْهِرَّيْنِ فِي خَجَلِ
يَلَا زِمَانِ الأَسَى مِمَّا أَصَابَهُمَا * وَيَنْدُبَانِ لِمَا نَالَا مِنَ الْفَشَلِ
تَكَلَّفَا سَتْرَ عَيْبٍ لَيْسَ تَسْتُرُهُ * عَنِ الْعُيُونِ ضُرُوبُ الْمَكْرِ وَالْحِيَلِ
وَمَنْ يَكُنْ عَاطِلًا عَنْ حِلْيَةٍ خُلِقَتْ * فِيهِ فَمَا الْغِشُّ مُحْلِيهِ لَدَى الْعَطَلِ

العظة التسعون

(الكلب والعلف والحمار)

قد نام فوق علف الحمار * كلب منابذ من الأشرار
وكلما رام الحمار أكله * قام له الكلب فعض رجله
حتى غدا من جوعه هزيلا * يوسعه صاحبه تنكيلا
ماذا جنى الحمار في دنياه * فسلط الكلب على أذاه
لا زاد هذا نافع لهذا * أيذاؤه وظلمه لماذا
قد جبلت طباع بعض الخلق * على أذى بعض بغير حق
شر الورى من ليس يرجى خيره * يوما ويرجى شره وضيره

العظة الحادية والتسعون

(القناعة)

يا جامع المال في الدنيا أما نظرت * عيناك دنياك لا تبقي ولا تذر
قد حملتك الليالي من شدائدها * بجمعك المال ذنبا ليس يغتفر
هون عليك بجمع المال أيسرما * يسعى أليه أخو الدنيا ويقتدر
المال مالك أن كنت ستنفدت به * وليس مالك ما يبقى ويدخر
تعيش في تعب الدنيا على أمل * وكلها عبر هيهات تعتبر
العيش لاعيش ألا ما قنعت به * قد يكثر المال والأنسان مفتقر

العظة التاسعة والثمانون

(مُحِبُّ الوَحْدَةِ)

عَاقِلٌ حَاوَلَ جَهْدَهُ * أَنْ يَعِيشَ العُمْرَ وَحْدَهُ
عَاهَدَ النَّفْسَ عَلَى أَنْ * تُثْبِتَ الأَيَّامُ عَهْدَهُ
سَيِّئُ الحَظِّ وَلٰكِنْ * فَضْلُهُ شَيَّدَ مَجْدَهُ
بَاحِثًا فِي كُلِّ فَنٍّ * قَادِحًا لِلْذِكْرِ زَنْدَهُ
عَالِمًا أَنَّ كَثِيرَ الصَّحْبِ لَا يُرْجَى لِشِدَّهْ
مَارَسَ الخَلْقَ فَزَادَتْ * تُرَّهَاتُ الخَلْقِ زُهْدَهْ
بَلَغَ البُهْتَانُ عِنْدَ النَّاسِ فِي التَّمْلِيقِ حَدَّهْ
كُلُّ مَنْ يَفْعَلُ خَيْرًا * وَاجِدٌ فِي النَّاسِ ضِدَّهْ
فَرَأَى فِي البُعْدِ عَنْهُمْ * مَغْنَمًا لَا غُنْمَ بَعْدَهْ
أَنَّ فِي الوَحْدَةِ فَضْلًا * لِفَتًى يَعْرِفُ قَصْدَهْ
كُلُّ مَنْ عَاشَ فَرِيدًا * نَالَ فِي الأَيَّامِ سَعْدَهْ
وَحْدَةُ العَاقِلِ خَيْرٌ * مِنْ جَلِيسِ السُّوءِ عِنْدَهْ

أَجَابَهَا الكَلْبُ لَقَدْ شَكَوْتِ * بِالحَقِّ وَالجَمِيلُ أَنْ عَفَوْتِ
فَلْيَرْتَبِطْ بِالصَّبْرِ مَنْ ذِي حَالُهُ * حَسْبُ المُسِيءِ وَصْمَةُ فِعَالِهِ
كَمْ نَخْلَةٍ يَرْمُونَهَا بِحَجَرٍ * ظُلْمًا فَتَرْمِي بِلَذِيذِ الثَّمَرِ

العظة الثامنة والثمانون

(المَلِكُ وَالمُلْكُ)

تَرَبَّعَ فِي عَرْشِ أَجْدَادِهِ * مَلِيكٌ تَرَبَّى كَرِيمَ الخِلَالِ
وَكَانَ المَلِيكُ الَّذِي قَبْلَهُ * كَثِيرَ الكَلَامِ قَلِيلَ الفِعَالِ
تُحِيطُ بِهِ زُمْرَةُ المُفْسِدِينَ * فَيَلْبَثُ مَا بَيْنَ قِيلٍ وَقَالِ
وَكَادَ يَزُولُ بِهِ مُلْكُهُ * وَمُلْكُ الضَّعِيفِ سَرِيعُ الزَّوَالِ
فَلَمَّا تَوَلَّى المَلِيكُ الَّذِي * تَلَاهُ وَأَدْرَكَ سِرَّ اللَّيَالِي
أَقَامَ يُدِيرُ شُؤُونَ البِلَادِ * وَبِالعَدْلِ يَبْلُغُ أَوْجَ المَعَالِي
وَقَرَّبَ أَهْلَ النُّهَى الرَّاشِدِينَ * وَأَقْصَى المُرَائِينَ أَهْلَ الضَّلَالِ
وَوَلَّى المَنَاصِبَ أَرْبَابَهَا * وَأَعْطَى القِسِيَّ رُمَاةَ النِّبَالِ
فَأَصْبَحَ مُلْكًا رَفِيعَ الذُّرَا * عَزِيزَ المَقَامِ عَدِيمَ المِثَالِ
وَأَضْحَى الرِّجَالُ عَلَى عَهْدِهِ * كِبَارَ النُّفُوسِ كِرَامَ الخِصَالِ
كَذَاكَ يُرَقِّي شُؤُونَ البِلَادِ * وَأَهْلَ البِلَادِ مُلُوكُ الكَمَالِ
فَشَرْطُ الفِلَاحَةِ غَرْسُ النَّبَاتِ * وَشَرْطُ الرِّيَاسَةِ غَرْسُ الرِّجَالِ

العظة السابعة والثمانون

(الكَلْبُ وَالنَّعْجَةُ)

النَّعْجَةُ اشْتَكَتْ لِكَلْبٍ مَرَّهْ * عِلْمـًا بِأَنَّهُ أَمِينُ العِشْرَهْ
قَالَتْ لَهُ إِنِّى وَرَبِّى كُلَّمَا * نظرت فِى أَمْرِى ذبتُ أَلَمَا
إِذْ أَنَّنِى لِنَفْعِ قَوْمِى أَسْعَى * لٰكِنَّهُمْ لاَ يَحْمَدُونَ صُنْعَا
يُعَامِلُونَ أَسْوَأَ المُعَامَلَهْ * وَلاَ يَرَوْنَ سُنَّةَ الْمُجَامَلَهْ
لِبَاسُهُمْ صُوفِى وَهٰذَا بَدَنِى * غِذَاؤُهُمْ وَشُرْبُهُمْ مِنْ لَبَنِى
وَمِنِّىَ السَّمَادُ لِلأَرَاضِى * يَحْيَا بِهِ النَّبَاتُ فِى الرِّيَاضِ
فَكَمْ تُقَاسِى مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ * خَطْبًا وَكُلُّنَا لِذَاكَ نَاسِ
فِى كُلِّ يَوْمٍ يَذْبَحُونَ جُمْلَهْ * مِنَّا وَمَا غَيْرُ الغِذَاءِ عِلَّهْ
وَمِنْ عَجِيبٍ أَنْ يَنَالُوا الدَّرَّا * مِنَّا وَيَبْتَغُونَ فِينَا الضُّرَّا
وَحَظُّنَا فِى النَّاسِ حَظٌّ ضَائِعُ * وَإِنَّمَا دِينُهُمُ المَنَافِعُ
وَبَعْدَ هٰذَا كُلِّهِ نُكَلَّفُ * شُكْرَانَهُمْ إِلَى مَتَى لاَ نُنْصَفُ
وَأَنْتَ يَاعَبْدَ بَنِى الإِنْسَانِ * يَاخَاضِعًا لَهُمْ مَدَى الزَّمَانِ
يَجْزُونَكَ القَتْلَ عَلَى اجْتِهَادِكْ * وَيُنْزِلُونَ السَّبَّ فِى أَجْدَادِكْ
رَضِيتَ بِالذُّلِّ وَبِاللَّجَاجِ * وَصِرْتَ كَالنَّعْجَةِ فِى النِّعَاجِ

قَالَ الضَّعِيفُ الجَبَانُ مِنْهُمْ * لَا تَسْمَعَا نُصْحَهُ غُـــرُورُ
وَقَالَ شَهْـمُ الفُؤَادِ مِنْهُـمْ * بِالحَـزْمِ قَدْ يَسْهُلُ العُبُورُ
وَرَاحَ وَسْطَ الغَدِيرِ يَجْرِي * وَلَا وُقُوفٌ وَلَا عُثُـــورُ
وَظَـلَّ فِي الشَّطِّ صَاحِبَاهُ * مَا مِنْهُـمَا وَاحِدٌ يَسِـــيرُ
فَقَـالَ هَيَّـا إِلَيَّ خُـوضَا * فَالخَوْضُ فِي مِثْـلِهِ يَسِـيرُ
إِنْ تَجْبُـنَا عِشْتُمَا بِضَيمٍ * وَفَازَ بِاللَّـذَّةِ الجَسُـــورُ

العظة السادسة والثمانون

(المغترّ بالنـاس)

فَتًى شَاقَهُ أُنْسُ الأَنَامِ مِنَ الصِّبَا * فَظَنَّ بِهِـمْ خَيْرًا وَذَاكَ غُرُورُ
يُبَالِـغُ فِي إِكْرَامِهِـمْ مُتَلَطِّفًا * إِذَا صَادَفُوهُ فِي الطَّرِيقِ يَسِيرُ
يُقَابِلُ بِالتَّرْحَابِ أَيًّا بِهِ الْتَـقَى * سَـوَاءٌ خَفِيرٌ عِنْـدَهُ وَأَمِـيرُ
إِلَى أَنْ دَهَتْهُ عُسْرَةٌ بَعْدَ يُسْرَةٍ * فَـلَمْ يَكُ مِعْوَانٌ لَهُ وَنَصِـيرُ
فَأَصْـبَحَ مِمَّـا نَالَهُ وَفُـؤَادُهُ * عَلِـيمٌ بِأَحْوَالِ الرِّجَالِ خَبِـيرُ
يَقُولُ أَلَا أَنَّ الـوِدَادَ تِجَـارَةٌ * إِذَا لَمْ يُؤَيِّدْهَا السَّخَاءُ تَبُـــورُ
لَئِنْ كَانَ مَنْ قَالَ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ * يُعَدُّ صَدِيقًا فَالصَّدِيقُ كَثِـيرُ

فأمّا مدينـــوه فقفـزوا بمـالِهِ * ولم يكُ منهُـــم واحدٌ ليـؤمّنـا
وأمّا الّذي أبقـاه منـه خبيئةً * فأدركه لصٌّ وعفّـاه مـوهِنـا
فبـاتَ بلا مالٍ وغالَ حرامُـــهُ * محلّلَهُ واعتاضَ بؤسًـا من المُنَى
بلوغُ المُـــنى ألّا تكاثرَ بالمُــنى * ونيـلُ الغنى ألّا تفـكّرَ في الغنى
ومن كانَ للدُّنيـا أشـدَّ تصوّنًا * تجدْه عنِ الدنيـا أشـدَّ تصوّنا

العظة الخامسة والثمانون

(البـــؤساء)

ثـلاثةٌ مالهـم نصـــيرُ * ولا محبٌّ ولا مجـــيرُ
ثـلاثةٌ حازمٌ جريءٌ * وذو احتيـالٍ ومستطيرُ
كأنّهـم في الوجودِ وهمٌ * فلا ممـاتٌ ولا نشـورُ
إذا دجا اللّيلُ سامرتهم * دموعهم والبكا سَمـيرُ
وإنْ بدا الصُّبحُ طالعتهم * حـوادثٌ كلُّها نكـيرُ
فأجمعوا أمرهمْ وقالوا * في الهجرِ خيرٌ لنـا كثيرُ
وبعـدَ هذا رأوا غديراً * يكادُ منْ موجهِ يثورُ
مدَّ إليهِ الضَّعيفُ رِجلًا * إذا بِهِ مـاؤهُ غـــزيرُ
فقـالَ أبنِي عليهِ جسرًا * يسهلُ منْ فوقِهِ المرورُ

أنَا الصدِيقُ أفْتَدى صَديقِى * أنَا الَّذِى يَنْفَع وَقْتَ الضِّيقِ
إنَّ عَرِيقَ الأَصْلِ فِى الإخْوانِ * يُقَابِلُ الإِحْسَانَ بالإحْسَانِ
فَلاَ تَخَفْ مِنْ جَائِرٍ أو مَالِكِ * فَأَنْتَ فِى حِرْزٍ مِنَ المَهَالِكِ
مَطَالِبُ الخَيْرِ جَمِيعًا سَهْلَهْ * وَالخَيْرُ لاَ يَطْلُبُ إلاَّ أَهْلَهْ
هَيَّا بِنَا نَسْبَحُ فَوْقَ الزَّاخِرِ * وَنَتْرُكُ الأَرْضَ لِذَاكَ الجَائِرِ
وَهَذِهِ سَفِينَةُ النَّجَاةِ * نَرْكَبُهَا فِى فُرْصَةِ الأَوْقَاتِ
حَتَّى نُوَافِى سَاحِلَ السَّلاَمَهْ * وَنَغْنَمَ الرَّاحَةَ وَالكَرَامَهْ
فَقَالَ إنِّى خَائِفٌ مِنَ الأَذَى * عَلَيْكَ مِنْهُ فَأَجَابَ حَبَّذَا
إنَّ أخَاكَ الصِّدْقَ مَنْ يَسْعَى مَعَكْ * وَمَنْ يَضُرُّ نَفْسَهُ لِيَنْفَعَكْ

العظة الرابعة والثمانون

(مُحِبُّ المَالِ)

مِنَ الرِّيفِ فَلاَّحٌ تَطَلَّعَ لِلْغِنَى * وَبَاتَ لَهُ حُبُّ المَكَاسِبِ دَيْدَنَا
وَكَانَ لَهُ طِينٌ خَصِيبٌ فَرَامَ أنْ * يَزِيدَ بِهِ أرْبَاحَهُ مُتَفَنِّنَا
فَقَالَ أرَى كُلَّ المَكَاسِبِ فِى الرِّبَا * بِهِ يَتَسَنَّى وَافِرُ الرِّزْقِ هَيِّنَا
فَأَوْقَرَ بِالرَّهْنِ المُقَسَّطِ أرْضَهُ * وَأقْرَضَ بَعْضَ المَالِ بِالكَسْبِ مُوقِنَا
وَأخْفَى الَّذِى أبْقَاهُ فِى الدَّارِ رَاجِيًا * مَزِيدَ مُرَابَاةٍ بِهِ إنْ تَمَكَّنَا

العظة الثالثـــة والثمانون

(الأَرْنَبُ وَطَيرُ الشُّرْشُورِ)(١)

صَاحَبَ يَوْمًا أَرْنَبٌ شُرْشُورَا * لَمْ يَكُ خَدَّاعًا وَلَا شِرِّيرَا
وَعَاشَ كُلٌّ عِيشَةَ الإِخَاءِ * فِي شِدَّةِ الأَيَّامِ وَالرَّخَاءِ
يَجْتَمِعَانِ فِي الدُّجَى وَالفَجْرِ * ذٰلِكَ فِي العُشِّ وَذَا فِي الجُحْرِ
فَأَبْطَأَ الشُّرْشُورُ ذَاتَ مَرَّهْ * وَمَا دَرَى صَاحِبُهُ مَقَرَّهْ
فَرَاحَ عَنْهُ بَاحِثًا فِي الوَادِي * يَسْأَلُ كُلَّ رَائِحٍ وَغَادِ
حَتَّى رَآهُ بِسَرَايِ المَلِكِ * فِي قَفَصٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ مَسْلَكِ
فَأَعْمَلَ الحِيلَةَ فِي قَرْضِ القَفَصْ * وَفَتَحَ البَابَ لَهُ حَتَّى خَلَصْ
وَانْطَلَقَا كَالرِّيحِ يَجْرِيَانِ * مَخَافَةً مِنْ صَوْلَةِ السُّلْطَانِ
لَمَّا دَرَى المَلِيكُ بِالأَمْرِ صَخِبْ * وَقَالَ هٰذِي قَتْلُهَا حَقًّا يَجِبْ
فَقَامَتِ الشُّرْطَةُ فِي الأَرَانِبِ * تَقْتُلُهَا فِي الشَّرْقِ وَالمَغَارِبِ
وَالأَرْنَبُ المُذْنِبُ أَمْسَى يَرْتَجِفْ * لِأَنَّهُ بِمَا جَنَاهُ مُعْتَرِفْ
ثُمَّ أَتَى يَسْتَنْجِدُ الشُّرْشُورَا * مِنْ شَرِّ يَوْمٍ كَانَ مُسْتَطِيرَا
فَقَالَ نَمْ وَلَا تَخَفْ مِنَ المِحَنْ * لِمَا بِهِ طَوَّقْتَنِي مِنَ المِنَنْ

(١) طائر يسمى الرقش جمعه شراشير ومفرده شرشور كعصفور

إنَّ قلبي يرى الفضاءَ مضيقًا * ورحيبًا ترى الفضاءَ عيونى
غرَّ غيرى يا دهرُ فالموتُ حتمٌ * فإذا جاءَ موعدى قبرونى
لا فرارًا من المنونِ ولا را * حةَ إلَّا من بعد هذى المنونِ
ليتني لم أكن خُلقتُ ولا كنـ * ـتُ عرفتُ الورى ولا عرفونى
ربِّ أنتَ العليمُ ما لى ذنبٌ * بشقاءِ الحياةِ قد ظلموني

العظة الثانية والثمانون

(الجاهلُ المُثرى)

يضعُ النقودَ الجاهلُ المُثرى * في غيرِ موضعها ولا يدرى
فيضنُّ في الحاجاتِ عن سعةٍ * ويفيضُ للغاياتِ عن بحرِ
هذا هو المغرورُ تبصرهُ * خلفَ الغرورِ مؤمّلًا يجرى
يهوى من الدنيا الظهورَ بها * فيزيدُ في التبذيرِ للفخرِ
والجودُ ليسَ بنافعٍ أبدًا * إنْ لم يكنْ في موردِ البِرِّ
شرُّ المواهبِ ما تجودُ بهِ * في غيرِ محمدةٍ ولا أجرِ

وَعِنْدَ ذَاكَ قَالَتِ الْأَوَزَّهْ * ضَلَلْتُمَا عَمَّنْ لَهُ الْمَعَزَّهْ
فَأَيْنَ أَنْتُمَا مِنَ الرُّومَانِ * ذَوِى الْعُلَا وَالْعِزِّ وَالْعِرْفَانِ
فَكَمْ لَهُمْ مِنْ جَوْلَةٍ وَصَوْلَهْ * ذَلَّتْ لَهَا فِي الْأَرْضِ كُلُّ دَوْلَهْ
وَصَارَ كُلٌّ جَازِمًا بِفِكْرِهِ * وَمُسْتَبِدًّا بَيْنَهُمْ بِأَمْرِهِ
وَكَانَ فَأْرٌ يَسْمَعُ الْجِدَالَا * مِنْ دَاخِلِ الْجُحْرِ فَهَبَّ حَالَا
وَقَالَ يَاقَوْمُ اسْمَعُوا لِي ذِكْرَا * لَا أَبْتَغِي مِنْكُمْ عَلَيْهِ أَجْرَا
لَوْجُبِلَ النَّاسُ عَلَى الْإِنْصَافِ * لَمْ تَرَ بَيْنَ النَّاسِ مِنْ خِلَافِ
فَكُلُّكُمْ أَجَلَّ مَنْ أَجَلَّهْ * وَلَيْسَ حُبٌّ خَالِيًا مِنْ عِلَّهْ

العظة الحادية والثمانون

(شَكَاةُ الدَّهْرِ)

مَا لِآبَائِنَا وَمَا لِبَنِينَا * فِي أَمَانٍ مِنَ الزَّمَانِ الْخَئُونِ
خَلَّفَتْهُمْ آبَاؤُهُمْ لِحَيَاةٍ * كُلُّهَا شِقْوَةٌ كَمَا خَلَّفُونِي
تَرَكَتْهُمْ نَوَائِبُ الدَّهْرِ صَرْعَى * وَسَرِيعًا لِحُكْمِهَا تَرَكُونِي
حَمَّلَتْهُمْ مَالَا يُطِيقُونَ مِنْهَا * وَهُمْ مِنْ هُمُومِهَا حَمَّلُونِي
أَنَّ دَهْرًا مِنْهُ الشِّكَايَةُ لَوْ أَنْـ * ـصَفَ أَهْلِي يَوْمًا بِهِ أَنْصَفُونِي
مَا لِهَذِي الْحَيَاةِ طِيبٌ وَهَلْ غَيْـ * ـرُ أَمَانٍ بِطِيبِهَا عَلَّلُونِي

فَأَتَاهُ اللُّصُوصُ مِنْ كُلِّ فَجٍّ * وَأَذَاقُوهُ مِنْ كُؤُوسِ العَذَابِ
سَلَبُوهُ مَا كَانَ مَعَهُ وَلَمْ يَرْ * جِعْ بِغَيْرِ الأَسَى وَغَيْرِ الإِهَابِ
ثُمَّ لَمَّا اسْتَفَاقَ أَنْشَدَ بَيْتًا * هُوَ عِنْدَ الخُطُوبِ فَصْلُ الخِطَابِ
إِعْرِفِ النَّاسَ فِي رَخَائِكَ تَعْرِفْـ * ـكَ لَدَى شِدَّةٍ وَيَوْمِ مُصَابِ

العظة الثمانون

(البُومَةُ وَالهِرُّ وَالإِوَزَّةُ وَالفَأْرُ)

بَعْضُ التَّلَامِيذِ أَتَى بِبُومَهْ * مِنْ عُشِّهَا يَنْفِي بِهَا هُمُومَهْ
وَقَدْ تَرَبَّتْ فِي رِحَابِ المَدْرَسَهْ * وَبِالتَّلَامِيذِ غَدَتْ مُسْتَأْنِسَهْ
فَصَاحَبَتْ إِوَزَّةً وَهِرَّا * وَعِشْنَ فِي وُدٍّ حَمِيمٍ دَهْرَا
كُنَّ ذَوَاتَ أَدَبٍ وَفَهْمْ * يَسْمَعْنَ كَالطُّلَّابِ دَرْسَ العِلْمْ
حَتَّى عَرَفْنَ ظَاهِرَ الشَّرِيعَهْ * كَمَا عَرَفْنَ بَاطِنَ الطَّبِيعَهْ
فَاجْتَمَعَتْ يَوْمًا مِنَ الأَيَّامِ * وَبَحَثَتْ فِي عِبَرِ الأَنَامِ
تَقَلُّبَ القَدِيمَ وَالحَدِيثَا * مُكْثِرَةً فِي الأُمَمِ الحَدِيثَا
فَابْتَدَأَ المَقَالَ فِيهَا الهِرُّ * وَقَالَ حَازَتْ كُلَّ فَخْرٍ مِصْرُ
فَقَالَتِ البُومَةُ لِليُونَانْ * مَجْدٌ سَمَا مِنْ سَالِفِ الزَّمَانْ
كَمْ ظَهَرَتْ فِي عَالَمِ الوُجُودِ * آثَارُهُمْ فِي المَوْقِفِ المَشْهُودِ

فَاحْتَرَقَ الجُرْنُ وَطَارَ الطَّيْرُ * وَلَمْ يُصِبْ غَيْرَ الحُبُوبِ الضَّيْرُ
فَجَاءَهُ مَوْلَاهُ قَالَ مَالِي * أَضَعْتَهُ يَا أَجْهَلَ الجُهَّالِ
ظَنَنْتُكَ المُصِيبَ لَا المُصَابَا * فِي عَقْلِهِ وَالظَّنُّ فِيكَ خَابَا
حَقِيقَةٌ كَمْ مِنْ عَدُوٍّ عَاقِلٍ * فِي النَّاسِ خَيْرٌ مِنْ صَدِيقٍ جَاهِلِ

العظة التاسعة والسبعون

(السائحان)

جَازَ إِلْفَانِ مُوسِرٌ وَفَقِيرٌ * قَدْ فَدَا يَأْنَسَانِ بِالْاِصْطِحَابِ
فَرَأَى أَسْعَدُ الرَّفِيقَيْنِ كِيسًا * فِي مَكَانٍ مُخَبَّأً بِالتُّرَابِ
فَجَرَى مُسْرِعًا إِلَيْهِ وَوَارَا * هُ بِحِذْقٍ وَلَمْ يَفُهْ بِخِطَابِ
قَالَ ثَانِيهِمَا لِيَ النِّصْفُ مِنْهُ * قِسْمَةَ الصَّادِقِينَ وَالأَحْبَابِ
قَالَ مَنْ حَازَهُ مِنَ الأَرْضِ كَلَّا * هُوَ رِزْقِي وَأَنْتَ تَبْغِي اغْتِصَابِي
وَإِذَا بِاللُّصُوصِ جَاءَتْ وَكَانَتْ * قَدْ تَوَارَتْ مِنْ قَبْلِ ذَاكَ بِغَابِ
قَالَ مَنْ عِنْدَهُ النُّقُودُ وَقَفْنَا * مَوْقِفَ الشَّاةِ مِنْ نِيَابِ الذِّئَابِ
فَأَجَابَ الرَّفِيقُ إِنِّي بَرِيءٌ * وَسَلِيمٌ مِنْ مَسِّ ذَاكَ المُصَابِ
وَأَنَا عَنْكَ ذَاهِبٌ وَمُوَلٍّ * وَلَكَ الوَيْلُ بَعْدَ هٰذَا الذَّهَابِ
ثُمَّ وَلَّى عَنْهُ لِيَعْرِفَ ذَاكَ الصَّـاحِبُ المُسْتَبِدُّ قَدْرَ الصِّحَابِ

فلم يقض أمرًا وضاعت به * وصايا أبيـــه على حرصه
إذا كنت في حاجة مرسلًا * فأرسل حكيمًا ولا توصه
وإن باب أمر عليك التوى * فشاور عليمًا ولا تعصـــه

العظة الثـامنة والسبعون
(الخادم ومولاه)

كان لمثر خادم أمين * يصدق في الخدمة لا يمين
أقامه قائمًا على الحصـاد * وكيله لدفع كل عاد
ودارت النوارج الكبيرة * على جبال السنبل الكثيره
فكان في نهـارِه مديرها * وفي ظلام ليـــله خفيرها
يذود عنها الناس والطيورا * والخيل والبغال والحميرا
فجاءه العصفور سربًا سربا * يلقط من كل الجهات حبا
وكلما شـــرده عاد له * كأنه في حربه عادله
فضاق منها صدره وحارا * ومن توالي فعلها استجارا
فقال مثلي ليس ممن يقهر * وحيلي تعـدادها لا يحصر
أوقد في هذي الغلال لهبا * وهي التي تلزمهن الأدبا
فأضرم النــار كما أشارا * حتى علت وأرسلت شرارا

العظة السادسة والسبعون

(الصَيَّادُ والعُصْفُورُ)

كَانَتْ عَصَافِيرُ بِرَوْضٍ زَاهِرِ * تَرْتَعُ فِي صَفْوٍ وَعَيْشٍ نَاضِرِ
وَكَانَ صَـيَّادٌ لَهَا فِي مَرْقَبِ * يَعُدُّ صَـيْدَهَا أَعَزَّ مَطْلَبِ
لٰكِنَّهُ إِذَا عَدَا عَلَيْهَـا * طَارَتْ وَخَابَ سَـعْيُهُ إِلَيْهَا
فَانْسَلَّ وَاخْتَفَى خِلَالَ العُشْبِ * وَمَدَّ كَفَّهُ بِبَعْضِ الحَبِّ
فَجَـاءَ عُصْفُورٌ قَلِيلُ الفَهْـمِ * لَيْسَ لَهُ بِمَكْرِهِ مِنْ عِلْمِ
فَحَطَّ فَوْقَهَا وَعِنْـدَمَا وَقَفْ * أَدْرَكَهُ المُحْتَالُ حَالًا وَالْتَقَفْ
وَقَالَ عُصْفُورٌ رَأَى العُصْفُورَا * إِنِّي مِنْ وَكْرِي لَنْ أَطِيرَا
وَظَنَّ كُلَّ حَبَّةٍ هِيَ الشَّرَكْ * فَصَابَرَ الجُوعَ إِلَى حِينِ هَلَكْ
فَصَحَّ فِيهِ أَنَّهُ مِنَ الفَزَعْ * فَرَّ مِنَ المَوْتِ وَفِي المَوْتِ وَقَعْ

العظة السابعة والسبعون

(الوَالِدُ وَوَلَدُهُ)

عَجُوزٌ لَهُ وَلَدٌ لَمْ يَكُنْ * شَبِيهاً لَهُ بِسِوَى شَخْصِـهِ
بَلِيدُ الفُؤَادِ ضَعِيفُ الحِجَا * تَدُلُّ الفِعَـالُ عَلَى نَقْصِـهِ
فَأَوْفَدَهُ فِي شُـؤُونٍ لَهُ * وَعَرَّفَهُ الحُكْمَ مِنْ نَصِّـهِ

جُهْدُ البَلاءِ صُحْبَةُ الأَضْدَادِ * فَإِنَّهَا كَيٌّ عَلَى الفُؤَادِ
إِنِّي فَعَلْتُ كُلَّ مَا فِي وُسْعِي * لِأُرْضِيَ النَّاسَ فَخَابَ صُنْعِي
مَهْمَا يَكُ الإِنسَانُ رَبَّ حَقِّ * فَغَيْرُ مُرْضٍ لِجَمِيعِ الخَلْقِ

العظة الخامسة والسبعون

(العُمْدَةُ والمُضَارِبُ)

مِنَ الرِّيفِ فِي إِحْدَى المَدَائِنِ عُمْدَةٌ * تَظَاهَرَ بَيْنَ النَّاسِ بِالكَسْبِ وَالغُنْمِ
فَصَارَ يَبِيعُ الطِّينَ آنًا وَيَشْتَرِي * سِوَاهُ بِلَا رَأْيٍ سَدِيدٍ وَلَا فَهْمِ
يُسَدِّدُ مِنْ هٰذَا لِهٰذَا دُيُونَهُ * بِغَيْرِ تَرَوٍّ فِي الحِسَابِ وَلَا عِلْمِ
إِلَى أَنْ مَضَى عَامٌ وَأَقْبَلَ غَيْرُهُ * وَزَادَ عَلَيْهِ الدَّيْنُ مِنْ قِلَّةِ الحَزْمِ
فَمَا قَامَ بِالدَّيْنِ الَّذِي حَلَّ قِسْطُهُ * وَبَاعَ جَمِيعَ الطِّينِ فِي الحَالِ بِالرَّغْمِ
فَمَا نَالَ مَا كَانَتْ عَلَيْهِ جُدُودُهُ * وَمَا زَادَ إِلَّا النَّقْصَ فِي الجَاهِ وَالاِسْمِ
وَأَيْقَنَ أَنَّ الدَّهْرَ يَهْدِمُ صَرْفُهُ * بِنَاءً لِمَنْ يَغْتَرُّ فِي الدَّهْرِ بِالوَهْمِ
وَإِنَّ وَفَاءَ الدَّيْنِ بِالدَّيْنِ لَمْ يَكُنْ * وَفَاءً وَلٰكِنْ كَانَ غُرْمًا عَلَى غُرْمِ

فَاسْتَرْجَعَ المُلْكَ مِنْ أَيْدِي مُنَاظِرِهِ ☼ وَفَازَ مِنْ وَحْشَةِ الدُّنْيَا بِإِينَاسِ
مَنْ يَفْعَلِ الخَيْرَ لَا يَعْدَمْ جَوَازِيَهُ ☼ لَا يَذْهَبُ العُرْفُ بَيْنَ اللهِ وَالنَّاسِ

العظة الرابعـــة والسبعون
(الحَارِثُ وَزَوْجَتُهُ والجحشُ)

رَكِبَ جَحْشًا حَارِثٌ عَلَى سَفَرْ ☼ وَتَبِعَتْهُ زَوْجُهُ عَلَى الأَثَرْ
فَقَالَ قَوْمٌ قَدْ أَعَزَّ نَفْسَـــهُ ☼ بِغَيْرِ حَقٍّ وَأَذَلَّ عِرْسَـــهُ
فَقَـامَ كَيْ يَرْتَاحَ فِي زَمَانِهِ ☼ يُسْكِتُ مَنْ يَحْذَرُ مِنْ لِسَانِهِ
فَانْحَطَّ عَنْ مَرْكَبِـهِ تَرَجُّلَا ☼ وَامْتَطَتِ الزَّوْجَةُ مِنْهُ بَدَلَا
فَقَالَ بَعْضُ النَّاسِ هَلْ تُفَضِّلُ ☼ عَلَى الرِّجَالِ امْرَأَةً لَا تَعْقِلُ
فَقَالَ إِنِّي مُرْدِفٌ لِزَوْجَتِي ☼ حَتَّى يَكُفَّ النَّاسُ عَنْ مَذَمَّتِي
فَامْتَطَيَا الجَحْشَ إِلَى أَنْ ضَعُفَا ☼ وَكَلَّ مِنْ حِمْلِهِمَا فَوَقَفَا
فَقَالَ آخَرُونَ كَمْ فِي النَّاسِ ☼ مِنْ خَشِنٍ فَظِّ الفُؤَادِ قَاسِ
فَـــنَزَلَا عَنْـــهُ بِلَا تَوَانِ ☼ لِيَمْنَعَا شَقْشَقَةَ اللِّسَـانِ
فَقَالَ شَاهِدٌ لِهٰذِي الحَـالِ ☼ قَدْ نُكِبَ الزَّوْجَانِ بِالخَبَالِ
فَقَالَ هٰذَا الحَارِثُ المِسْكِينُ ☼ كُلُّ امْرِئٍ بِرَأْيِهِ مَفْتُونُ
وَالشُّكْرُ فِي النَّاسِ قَلِيلٌ جِدًّا ☼ إِنْ لَمْ تُصَابِرْهُمْ بَقِيتَ فَرْدَا

قَالَ أَبِي ذَا الرَّوْضُ مَا أَحْلَاهُ * وَعُشْبُهُ فِي الجِسْمِ مَا أَمْرَاهُ
قَالَ أَبُوهُ اليَوْمَ تَشْتَهِيهِ * وَهُوَ الَّذِي بِالأَمْسِ كُنْتَ فِيهِ
وَالمَرْءُ طَبْعًا زَاهِدٌ فِيمَا مَلَكْ * وَلَوْ جَرَى بِأَمْرِهِ حُكْمُ الفَلَكْ
وَمِنْ قَدِيمٍ قَالَتِ الأَسْلَافُ * مَنْ يَمْلِكِ الشَّيْءَ لَهُ يَعَافُ

العظة الثالثة والسبعون

(الفَلَّاحُ وَالمَلِكُ)

اِسْمَعْ حَدِيثَ مَلِيكٍ عَزَّ فِي النَّاسِ * أَجْرَتْ عَلَيْهِ اللَّيَالِي حُكْمَهَا القَاسِي
فَفَارَقَ المُلْكَ رَغْمًا مِنْ إِرَادَتِهِ * وَجُرِّعَ الذُّلَّ بَيْنَ الكَاسِ وَالطَّاسِ
وَظَنَّ أَنْ لَا يَعُودَ المُلْكُ إِذْ ذَهَبَتْ * آمَالُهُ وَدَهَتْهُ شِدَّةُ اليَاسِ
لَكِنْ أَخُو الجُودِ أَنْ تَجْرَحَهُ جَارِحَةٌ * كَانَتْ أَيَادِيهِ نِعْمَ الطِّبُّ وَالآسِي
وَمَا رَعَى مَلِكٌ قَوْمًا بِمَكْرُمَةٍ * أَلَّا رَعَاهُ بِنَصْرٍ مَالِكُ النَّاسِ
وَبَيْنَمَا كَانَ فِي حُزْنٍ وَفِي نَكَدٍ * وَافَاهُ ذُو أَدَبٍ رَاقٍ وَإِحْسَاسِ
وَقَالَ مَوْلَايَ أَنْ جَارَ الزَّمَانُ فَمَا * عَلَيْكَ مِنْ حَادِثِ الأَيَّامِ مِنْ بَاسِ
أَنْتَ المَلِيكُ وَرُوحِي أَفْتَدِيكَ بِهَا * مَادَامَ فِي الجِسْمِ تَرْدِيدٌ لِأَنْفَاسِي
إِلَيْكَ مَا لِيَ فَاغْزُ المَارِقِينَ بِهِ * وَعُدْ عَزِيزًا وَوَطِّدْ مُلْكَكَ الرَّاسِي
وَبَعْدَ نَصْرِكَ مَا تَرْجُو سَرَائِرُنَا * سِوَى بَقَائِكَ فِينَا سَالِمَ الرَّاسِ

العظة الثانية والسبعون

(الجَوَادُ وَالمُهْرُ)

كَانَ جَوَادٌ بَعْـدَ عُمْـرٍ طَالَا * أنْتَـجَ مُهْـرًا نَزِقًا مُخْتَـالًا
رَبَّاهُ فِي مَرْعًى نَدِيٍّ مُخْصِبِ * فِي طِيِّبِ الأكْلِ وَصَافِي المَشْرَبِ
فَمَلَّ تِلْكَ العِيشَةَ المَرْضِـيَّهْ * وَسَـاوَرَتْهُ دُونَهَـا أُمْنِيَّـهْ
فَقَـالَ لِلْوَالِدِ إِنِّي ذَاهِبُ * عَنْ مَرْتَعٍ ضَاقَتْ بِهِ المَذَاهِبُ
كَفَى الَّذِي لَاقَيْتُ مِنْ تَحَمُّلِ * فَـلَذَّةُ الحَيَـاةِ فِي التَّنَقُّــلِ
أَجَابَهُ الـوَالِدُ لَاشَيْءَ لَدَيْ * أَحَبُّ مِمَّـا تَتَمَـنَّى يَا بُنَيْ
إِنِّي أَسِـيرُ حَيْثُمَا تَسِـيرُ * وَالرَّأْيُ يَا بُنَيَّ مَاتُشِـيرُ
وَخَافَ أنْ يَأْبَى إِذَا مَامَنَعَـهْ * وَاسْتَعْمَلَ الحِكْمَةَ حِينَ اتَّبَعَهْ
وَسَارَ ذَاكَ الأَصْلُ خَلْفَ الفَرْعِ * فَـنَزَلَا أَرْضًا بِغَـيْرِ زَرْعِ
وَبَاتَ كُلٌّ مِنْهُـمَا فِي جُوعِ * وَلَمْ يَذُوقَا لَذَّةَ الهُجُـوعِ
فَصَارَ يَشْكُو المُهْرُ سُوءَ الحَالِ * مُطَالِبًـا أَبَاهُ بِالـتَّرْحَالِ
فَـرَدَّهُ أَبُوهُ رَدَّ المُعْجَبِ * لِلرَّوْضَةِ الأُولَى الَّتِي لَمْ تُعْجِبِ
حَتَّى إِذَا تَنَفَّسَ الصَّـبَاحُ * وَانْتَعَشَتْ بِضَـوْئِهِ الأَرْوَاحُ
وَأَكَلَ المُهْـرُ مِنَ الأَعْشَابِ * وَشَرِبَ العَذْبَ مِنَ الشَّرَابِ

فَبَدَّلَا الشُّكْرَ نَ بِالْكُفْرَانِ * وَأَنكَرَا صَنِيعَةَ الإِحْسَانِ
إِنَّ اللَّئِيمَ وَخَسِيسَ الأَصْلِ * لَايَسْتَحِقَّانِ لِبَاسَ الفَضْلِ
وَمَنْ يُرَبِّي خَلَفًا لِغَيْرِهِ * كَبَاحِثٍ بِمَالِهِ عن ضَيْرِهِ

العظة الحادية والسبعون

(الشَّيْخُ وَوَلَدُهُ وَالعَبِيدُ)

شَيْخٌ عَظِيمٌ فِي البَرَايَا سَعِيدْ * لَهُ مِنَ الدُّنْيَا غُلَامٌ وَحِيدْ
حَلَّ ابْنُهُ يَوْمًا بِبُسْتَانِهِ * وَالنَّوْرُ فِيهِ مِثْلُ عِقْدٍ نَضِيدْ
فَعَاثَ فِيهِ لَايُبَالِي الأَذَى * وَغَادَرَ الزَّرْعَ هَشِيمًا حَصِيدْ
ثُمَّ أَتَى وَالِدُهُ بَعْدَهُ * وَشَاهَدَ الرَّوْضَةَ كَادَتْ تَبِيدْ
وَقَالَ مَنْ أَتْلَفَ غَرْسِي وَهَلْ * سَطَا عَلَى الغَرْسِ عَدُوٌّ شَدِيدْ
فَلَمْ يُجِيبُوهُ وَقَدْ أَطْرَقُوا * خَوْفًا عَلَى النَّجْلِ العَزِيزِ الفَرِيدْ
فَأَقْبَلَ الطِّفْلُ مُقِرًّا بِمَا * جَنَى وَقَالَ افْعَلْ أَبِي مَاتُرِيدْ
أَنَا الَّذِي فِي الرَّوْضِ عَاثَتْ يَدِي * وَخَالِقُ الكَوْنِ عَلِيمٌ شَهِيدْ
فَفَرِحَ الوَالِدُ مِنْ صِدْقِهِ * وَخَصَّهُ مِنْ عَطْفِهِ بِالمَزِيدْ
وَقَالَ يَانَجْلِي بَلَغْتَ الهُدَى * فَسِرْ عَلَى النَّهْجِ القَوِيمِ السَّدِيدْ
عَلَيْكَ بِالصِّدْقِ وَلَوْ أَنَّهُ * أَحْرَقَكَ الصِّدْقُ بِنَارِ الوَعِيدْ

أنتِ ٱرْتَكَنْتِ على الغُصُو * نِ وَنَحْوِهَا فِي كُلِّ أَمْرِكْ
لَوْلَا ٱرْتِكَانُكِ كُنْتِ أوْ * ضَعَ مَا يَكُونُ لِضَعْفِ أَزْرِكْ
وَالرِّيحُ قَاصِفَةُ الغُصُو * نِ وَقَدْ تَمُرُّ على مَقَرِّكْ
كيف الفَخَارُ وأنْتِ فِي الدُّ * نْيَا مُعَلَّقَةٌ بِشَعْرِكْ
فَاعْلِي بِنَفْسِكِ إِنْ أَرَدْ * تِ الفَخْرَ بَيْنَ بَنَاتِ دَهْرِكْ
وَدَعِي الفَخَارَ بِزَهْرِ غَيْرِكِ وَافْخَرِي حَقًّا بِزَهْرِكْ

العظة السبعون

(نُكْرَانُ الجَمِيلِ)

أَعْتَقَ لِلَّهِ أَمِيرٌ جَارِيَهْ * وَهٰذِهِ عَادَةُ خَيْرِ جَارِيَهْ
وَقَدْ رَأَى زَوَاجَهَا صَوَابَا * كَمَا رَأَى فِي عِتْقِهَا ثَوَابَا
فَهَمَّ حَتَّى جَاءَهَا بِبَعْلِ * كُفْءٍ لَهَا تَسَاوَيَا فِي الأَصْلِ
فَوَلَدَتْ مِنْ بَعْلِهَا بُنَيَّهْ * ثُمَّ دَهَتْهَا بَعْدَهَا المَنِيَّه
فَأَحْضَرَ الأَمِيرُ تِلْكَ الطِّفْلَهْ * إِلَيْهِ مُغْدِقًا عَلَيْهَا فَضْلَهْ
تَرْفُلُ فِي العِزِّ وفِي النَّعِيمِ * رَاتِعَةً فِي خَيْرِهِ العَمِيمِ
حَتَّى إِذَا آنَ لَهُ الزَّوَاجُ * زَوَّدَهَا مِنْ كُلِّ مَا تَحْتَاجُ
وَغَمَرَ الزَّوْجَيْنِ بِالهِبَاتِ * وَالمَرْءُ لَا يَعْلَمُ حُكْمَ الآتِي

وَبَيْنَمَا القَوْمُ فِي لَهْوٍ وَفِي طَرَبٍ ۞ إِذْ مَرَّتِ الأُتْنُ تَرْعَى فِي مَرَاعِيهَا
قَالَتْ أَتَانٌ عَلَامَ القَوْمُ فِي طَرَبٍ ۞ بِنَغْمَــةٍ لَمْ أَجِدْ لِي لَذَّةً فِيهَــا
فَلَمْ تَعْرِجْ وَسَارَتْ وَالحَمِيرُ لَهَا ۞ مِنَ النَّهِيقِ غِنًى عَمَّنْ يُغَنِّيهَا
وَفِي المَسِيرِ رَأَتْ مِنْ بَيْنِ أَرْجُلِهَا ۞ قِيثَارَةً كَانَ بَعْضُ النَّاسِ نَاسِيهَا
فَأَمْسَكَتْهَا بِأَيْدٍ وَهِيَ ضَـارِبَةٌ ۞ فَأَحْدَثَتْ فِي نُفُوسِ الأُتْنِ تَنْبِيهَا
وَبَعْدَ حِينٍ أَجَادَتْ نَغْمَةً فَغَدَتْ ۞ تَكَادُ تَرْقُصُ مِنْ إِبْدَاعِهَا تِيهَــا
وَقَالَتِ الآنَ أُعْطِي القَوْمَ مَعْذِرَةً ۞ وَذَلِكَ المَثَلُ المَضْرُوبُ يُعْطِيهَــا
لَا تَبْلُغُ النَّفْسُ مِمَّــا لَيْسَ تَعْرِفُهُ ۞ حَظًّا فَمَــا جَهِلَتْهُ مِنْ أَعَادِيهَا

العظة التاسعة والستون

(اللَّبْلَابَةُ وَالنَّجْمُ) (١)

لِبْــلَابَةٌ قَــالَتْ لِنَجْــمٍ مَرَّةً يَا طُولَ صَــبْرِكْ
أَرْثِي لِحَــالِكَ حَيْثُ أَنْــكَ فِي انْخِفَاضٍ طُولَ عُمْرِكْ
أَعْلُو وَمَالَكَ مِنْ عُــلًا ۞ وَأَقَلُّ قَدْرِي فَوْقَ قَدْرِكْ
فَــأَجَابَهَــا يَا هَــذِهِ ۞ لَقَــدِ ازْدَهَيْتِ بِغَيْرِ فَخْرِكْ
بِسِــوَاكِ أَدْرَكْتِ السُّمُــوَّ وَإِنَّنِي أَدْرَى بِسِــرِّكْ

---

(١) النجم من النبات ما لم يكن على ساق قال الله تعالى (والنجم والشجر يسجدان)

العظة السابعة والستون

(الغُلَامُ والنَّخْلَةُ)

تقدمَ الركبَ فتًى من العربْ * حتى أصابَ نخلةً ذاتَ رُطَبْ
فهبَّ كى يجنِيَ بعض البلحِ * لٰكنَّهُ لطولها لم يُفْلِحِ
فعاد يدعو الأخَ والأمَّ معه * ليصحَباه فى اجتلابِ المنفعهْ
فحضرا طُـــرًّا بلا إمهـالِ * وانتظموا من حولها فى الحالِ
فحمل الأخُ الكبيرُ الأصغرا * ليبلغَ الحملَ ويجنِى الثمـــرا
فظفـــروا منها بخيرٍ جَمّ * ورجعوا لحيِّهـــم بالغُـــنْمِ
والرزقُ يبغى كلَّ من يبْغيهِ * وكلُّ ذى رزقٍ سيستوفيهِ
وهٰكذا منافعُ العبادِ * فى السعى والعزمِ والاتحادِ
فاعمَـلْ بها والتزمِ القناعهْ * إنَّ يدَ اللهِ مع الجمَاعهْ

العظة الثامنة والستون

(الأتَانُ والقِيثَارةُ(١))

رَاعٍ مُقيمٌ بأرضٍ طَابَ وَادِيهَا * غَنَّى بقيثَارةٍ رَقَّتْ أغَانِيهَا
خَفَّتْ إليهِ رُعَاةُ الحيِّ تَسْمَعُ مَا * يَشُوقُ مِنْ لَحْنِهَا المُشْجِى وَتُطْرِيهَا

---

(١) القيثارة آلة يضرب عليها

العظة السادسة والستون

(الورقاءُ والفرخ الذى ربته)

ورقاءُ عاشت وهي ترجُو أن ترى * فرخا بطاعتهِ الحياةُ تَطيبُ
فيكون نسلا صالحا ويعِزُّها * وتُعِزُّه وكلاهُما محسوب
نظرتْ بعُشّ ذاتَ يوم بيضةً * تُرِكَتْ وليس لها هناك رقيب
قالت سأحضنُها إلى أيّامِها * لأرى بها خَلَفًا وذاك قريبُ
حتى إذا ما أفرختْ جاء الذى * نقفتْه وهو عن الحمام غريب
لا شكلُه شكلُ الحمام ولا لَه * من نوع ساجعةِ الأراكِ نصيب
جعلتْ تربيه لتُحسِنَ سيره * فيَزينُه التعليمُ والتأديب
لكنها خبتْ أمانيها وكم * جهدَت وجَهدُ البائسات يخيب
إذ حَلَّ فى وَكْرِ الحمامة زائرا * شُحْرُورُ روض بالغِناء طروب
فعدا عليه الفرخُ غير مجامل * وأماته فى الحال وهو غضوب
فتكدرتْ منه الحمامةُ وانثنت * وفؤَادها مما رأتْه كئيب
أسفتْ لتربيةٍ وحسنِ رعاية * ضاعتْ وقالتْ ما حكاه لبيب
إن كان طبعُ المرءِ سوءًا لم يُفِد * فى طبْعِهِ وعظٌ ولا تهذيبُ

العظة الخامسة والستون

(الباحث والمقلد)

شَخْصانِ كَانَا يَعْبُدَانِ الشَّمْسَا * كِلَاهُمَا على الخِلَافِ أَمْسَى
فَوَاحِدٌ يَعْبُدُهَا بِجِدِّ * مُقَلِّدَ الوالِدِ بعدَ الجَدِّ
وَوَاحِدٌ قَدْ قَالَ دِينُ العَارِفِ * لَيْسَ كَدِينِ النَّقْلِ بِالزَّخَارِفِ
وَفِكْرَتِي فِي كُلِّ عِلْمٍ سامِيَهْ * مِنْ أَجْلِ دَرْسِي لِلْعُلُومِ العَالِيَهْ
وَكُلُّ مَنْ يَبْحَثُ عَنْ حَقِيقَهْ * أَوْصَلَهُ البَحْثُ إِلَى الطَّرِيقَهْ
الشَّمْسُ لَا أَدْرِي لَهَا تَكْوِينَا * فَكَيْفَ أَرْضَى بِالخَيَالِ دِينَا
فَجَدَّ فِي مَبْحَثِهِ حَتَّى اهْتَدَى * بَعْدَ الضَّلَالِ وَلَهُ الحَقُّ بَدَا
وَعَبَدَ الرَّحْمنَ حِينَ لَاحَا * لَهُ ضِيَاءُ الرُّشْدِ فَاسْتَرَاحَا
وَمَا ارْعَوَى عَنْ جَهْلِهِ أَخُوهُ * والغَيُّ مَوْعُودٌ بِهِ ذَوُوهُ
فَعَاشَ فِي الضَّلَالِ طُولَ العُمْرِ * وَبَاتَ فِي جَهَالَةٍ وَوِزْرِ
مَا أَغْبَنَ المَغْبُونَ بَعْدَ عَقْلِهِ * مَا أَضْيَعَ الغِمْدَ بِغَيْرِ نَصْلِهِ
لَا شَيْءَ كَالْعَقْلِ مِنَ الْهِبَاتِ * بِقَدْرِهِ تَفَاوُتُ الحَيَاةِ
وَالنَّفْسُ لَوْ سَارَتْ على هَوَاهَا * بِغَيْرِ عَقْلٍ حُرِمَتْ مُنَاهَا
مَنْ عَرَفَ اللهَ أَقَامَ الحُجَّهْ * لِدِينِهِ وَأَدْرَكَ المَحَجَّهْ

إلى متى تقيم فى الضلال * وتعبد الأفيال كالجهال
فابحث هداك الله للسداد * فالبحث يجلو الحق للعباد
والعقل يهدى أهله للرشد * فلا تكن مقلدا كالقرد

العظة الرابعة والستون
(الزنبور والنحلة)

قد أبصر الزنبور يوما نحلة * فى روضة فأتى اليها يسرع
ودعا أيا أختى فقالت أننى * تالله من هذا الإخاء لأفزع
فأجابها لا فرق فيما بيننا * أنا لأصل فى الحقيقة نرجع
أوما كفاك على الأخوة شاهدا * شبه تؤيده لديك الأذرع
فى شكلنا وطباعنا وصباغنا * ودويّنا قامت شواهد أربع
حتى اشتركنا فى العيون فعندما * أمشى وتمشى تظلعين وأظلع
وقد اشتبهنا فى الأذى فرماحنا * مشروعة قد تلسعين وألسع
هذا دليل أنك الاخت التى * كانت معى من ثدى أمى ترضع
قالت له أنا إن لسعت منحتهم * شهد الشفاء فلا أضر وأنفع
لكن حرابك للأذى أعددتها * فإذا دنوت لجسم شخص تلذع
هذا دليل البعد فيما بيننا * نسبا فدعوا الأخوة تمنع
وإذا جهلت من امرئ أعراقه * وقديمه فانظر إلى ما يصنع

العظة الثـالثة والستون

(الفيل الابيض)

فيلٌ من البيض له حكايه * غريبـــةٌ فى بابها للغـايه
رأى أناسا مَحَّضُوهِ الحُبّا * وعَبـــدُوهُ كالإلهِ رَبّا
يفـدونه بالنفس والنفيس * كصـنع آلِ مِصرَ فى أَبيس (١)
فاضطربَ الفيلُ من العباده * وقال للخـادمِ بئس العـاده
ما سببُ اعتقادِكُم فى الفِيَله * وفيكـم العقلْ وأنتم كَمَلَه
أليسَ فيكم من ذوى الالباب * هداكم اللهُ إلى الصـواب
قد فضّـلَ اللهُ بنى الانسان * بالعقل والصـورةِ واللسان
قال وجدنا هكـذا آباءنا * فلا نَلُمْ من بعدِنا أبناءَنا
ودينـا دينٌ قويم من قِدم * دينُ صـلاحٍ وعلومٍ وحِكم
وفيـهِ أنّ روحَ ربِّ الفضل * تَسْكن جسمَ الفيلِ بعد النقل
وقدتبعتُ الأَهل فى اعتقادى * ولست أدرى صحة الإسناد
قال اعتقادٌ باطلٌ من زمن * لايَقبَـلُ المحالَ عقلُ الفَطِن
قد صدقَ القائلُ فى الكلام * ليس النُّهى بعظَمِ العِظَـام

(١) عجل عبده قدماء مصر

العظة الثانية والستون

(الكَرْكَدَنُّ[1] والجمـل)

سأل الكَرْكَدَنُّ السَّامِي القُوَى * جَمَلاً قد تاه زهـوا وافتخـرْ
أيُّ فرقٍ بيننـا حتى أرى * عيشكَ الصافي وعيشي في كدرْ
إنْ تكن في خَلْقةٍ تَفْضُلُني * كان لي فضـلٌ بأشياءَ أُخَرْ
إنَّ لي قَـرْنا ودِرعا أتقي * بهـما الشرَّ إذا الشرُّ حضرْ
قال كَلَّا أنت ناسٍ فادَّكِر[2] * خَصـلةً نسيانُها لا يُغتفَرْ
هي أنَّ الطبعَ مني سَلِسٌ * لستُ أَعْصِي مَنْ نهاني أو أمرْ
كم فتىً فوقيَ مِن كَرْبٍ نجا * وفتىً أدركَ بِي أقصى الوطرْ
كم يدٍ مدخورةٍ لي عندهم * لم أشاهِدْ لكَ فيها من أثرْ
فلئن كان اشتراكٌ بيننا * فهو لاشك اشتراكٌ في النظرْ
إن في الباطن فرقًا واضحًا * ليس بالخافي وهل يخفى القمرْ
فإذا شئت حياةً رغْدةً * فَـزِنِ الخُلقَ بما يُرضِي البَشرْ
واجعل المعروفَ ذُخرا إنَّه * لِلفتى أحسنُ شيءٍ يُدَّخرْ

---

(١) حيوان بالهند في جثة الفيل ذو حافر على رأسه قرن واحد

(٢) تذكر

ليس عندى مثله طير وكم * لى طيــورٌ غيرُ هذا لاتُعــد
عنــدها قال له أســتاذُهُ * ذاك أنّ الفضلَ فى الناس كَسد
وترى الناسَ كثيرا فإذا * عُدّ أهلُ الفضلِ قَلُّوا فى العدد

العظة الحادية والستون

(البهلوان وعَصَاهُ)

كان قديما بهــلوانٌ يلعَبُ * من فوقِ حبلٍ وبهذا يُعجِب
يحضُرهُ أهــلُ القُرى جُموعا * كى ينظروا من صُنعِه البديعا
فغــرَّهُ مجيئُهــم إليــه * ونشرُهُم حسنَ الثَّنَا عليــه
فقال يوما ما احْتيَاجى للعصا * وقد ألِفتُ الحبلَ والترقُّصا
ثم رمى العصا وفى اللعْبِ شَرع * فمالَ فوقَ الحبلِ حِينا ووقع
مَن حدَّثته نفسُــه بالقدره * وغرَّهُ الوهمُ أضاعَ عُمــره
وكلّ من همّ وحيدا فى عمل * بلا نصير لم يجِد غيرَ الفشل
لابُدَّ للانســانِ من مُعين * يُعينُــه وصاحبٍ أمين
وإنّما السلطــانُ بالأعوان * واليــدُ بالساعدِ والبنان

العظة التاسعة والخمسون

(السرطان)

مَشَى السرطانُ يوما باعوجاج * فقلّد شكلَ مِشْيَتِهِ بَنُوهُ
فقال علامَ تنحرفون قالوا * سبَقْتَ به ونحن مقلّدوه
فخالِفْ سَيْرَكَ المعوجَّ واعْدِل * فإنَّا إنْ عَدَلْتَ مُعَدِّلوه
أما تدرى أبانا كلُّ فرع * يجارِى فى الخُطَى من أدّبوه
وينشأُ ناشئُ الفتيان منّا * على ما كان عَوَّدَهُ أبوه

العظة الستون

(البُلبلُ والأميرُ)

أخبروا أن أميرًا قد ورد * روضةً فيها نعيمٌ لا يُحَد
وهو يستصحِبُ أستاذًا له * لينالَ الوعظَ منه والرَّشَد
فرأى من فوقِ غصنٍ بُلبلا * بجمالِ الشَّكلِ والصوتِ انفرَد
فتمنَّاهُ وَوَلَّى خائفًا * مُسرِعا فى سيره أنَّى قصد
كلما خادَعه لم ينخدع * كلّما قاربَ مثواه ابتعد
ثم غابَ الطيرُ فى غابته * واغتدَى الصيادُ منه فى كَمَد
قائلا واعجبا من مُطرِب * يسكُنُ الغابَ ولا يهوَى البلد

هأنذا ذاهبــةٌ الى الخَــلا * كَىْ لَاأُلاقِى أحدا من المــلا
أقضى هُناك العمرَ فى اعتدال * وأهجــرُ الأنامَ باعتزالى
فســمعتْ مقالَهــا جرادة * قالت لها ويْحَكِ من تقادة
لاتخرُجى لاخيرَ فى الخروج * فالعيشُ يصفُو فى رُبا المروج
مَن الذى أقصاكِ عن تنَعُّم * حتى غدوْتِ الآنَ فى تنَدُّم
إنْ هُوإلا سوءُ ظَنٍّ غالبِ * عليكِ وهو من طباع الغالب
فيممت مَرْجًا(١) به أزهــار * ولا تُرَى فى جوّه أطيــار
فابتهجتْ ونَوت الإقامه * زاعمةً أنّ بِهَا السـلامه
وفى الصباحِ أقبلَ الحصّاد * ودخلتْ مروجَها العبــاد
قالتْ لقــد وافتنِىَ الرجال * فكيف لى اذًا تطيبُ الحال
فســمع المقــالَ منها راع * فقال خَوْفُ مَالَهُ مِنْ دَاع
ثم رَمَى بِها على رأس الشجر * وقال هاكِ فكُلى خيرَ الثمــر
فلا تظُنّى الشرَّ فى كلّ الأمم * فأنّ بعض الظــنّ إِثْمٌ وندَمَ
ما أولع النفسَ بســوءِ الظنّ * ما أسرعَ النفسَ إلى التمــنّى

(١) مرعى الدواب

العظة السابعة والخمسون

(الهزار والطاوس)

لما الربيعُ بدا والصفوُ قد حانا * غنَّى الهزارُ على الأفنانِ ألحانا
فهبّ من عُشّهِ الطاوسُ مفتخِرا * بحُــــلّة جَمَعتْ للحسنِ ألوانا
وقال ياصائحا غرّتْه نغمتُـــه * فخالها أبدعَ الأنغامِ إتقانا
إن كان طيبُ غناءٍ منك أطربنا * فقبح ريشِك لما بانَ آذانا
وليس شيءٌ كحسنِ الشكلِ صاحبُه * تودُّ كلُّ ملوكِ الأرض سلطانا
لبِسْتُ ثوبيَ من روض الجمال وما * أطْرَبْتُ في روضتي صبا ونشوانا
وأنت مستهجَن خَلقا وتُنشِد ما * به تضــــيعُ أنفاسا وأزمانا
فقال لاتفتخر أنَّ الغناءَ له * فضــلٌ وسامعُه تلقاه جذلانا
لكل حسن مزايا قد خُصصن به * لم يَمْنَحِ اللهُ كلَّ الحسنِ إنسانا

العظة الثامنة والخمسون

(الجــــرادة)

قالت جرادةٌ كرِهتُ العيشه * فليستَ الدنيا تساوي ريشه
فــكم أرى فيها ارتكابَ إثمِ * من كلِّ ذي نقصٍ وكلِّ فَدْمِ (١)

---

(١) العييّ والثقيـــل

وبات بعدَ العزّ فى المَــذلَّه * وبعــد صحــةٍ أليفَ عِلَّه
قد كان يُدعَى بعظيم الفضل * فصار يُدعَى بثقيل الظــلّ
هذا جزاءُ الطَّيش فى الشباب * والطيشُ لايهدى إلى الصواب
ومن أباحَ النفسَ ماتهــواه * فإنَّمــا معبــودُه هــواه
تلقَى الفتَى الأهواءُ فى العناءِ * وربّمــا أفضتْ إلى البلاء
إنّ الشبابَ والفراغَ والجِدَه * مفســدةٌ للمرء أىُّ مفســده

العظة السادسة والخمسون

(الهــر البرى)

آلفَ إحدى الرياضِ هِرٌّ * للطيرِ ماعنده أمان
فى كل صبحٍ وكُلِّ لَيْــل * تغولُها حَرْبُها العَوان
حتى إذا ما الشبابُ ولّى * وخانَهُ فى القُوى الزمان
وصار يَخشَى وليس يُخشَى * والليثُ فى ضعفِه جَبان
فازَ به حارسٌ رقيب * وكل باغٍ له أوان
رماهُ سهما وقال خذْه * كما يَدينُ الفتى يُدان

العظة الرابعة والخمسون

(دودة القزّ ودودة الحقل)

فئةٌ من الحَيَوان فيما بينَها * دارَ الحديثُ مُغرّبا ومُشَرِّقا
وجرى لدودِ القزّ ضمنَ حديثِها * ذكرٌ أرقُّ من السّلاف مروِّقا
هى دودةٌ هذا الحريرُ نسيجُها * ولقد يكون نسيجها إستبرقا
وهناك قامت دودةٌ حقليّة * لم تحكِها نفعا وساءت منطقا
أخذتْ تخطّئها على تفضيلها * وتقول إنى لست ممن صدّقا
فتعجّب السمّاعُ بعد حديثها * وأخو السعادةِ سُبّة لأُولى الشقا
فضلُ الفتى يُغرِى الحسودَ بسبّه * والعود لولا طيبُهُ ما أُحرقا

العظة الخامسة والخمسون

(لاعبُ الميْسر)

حكايةُ الوارثِ للأموال * نادرةٌ سارتْ مع الأمثال
قد كان يقضى الليلَ والنهارا * كليهما فى لعبه القِمارا
وكان لا يلعبُ إلاّ بالذهب * غيرَ مبالٍ إن تبقّ أو ذَهب
ولم يزل يُسلبُ منه المالُ * حتى انتهَى وساءَ منه الحال

أَصْـــغِ الى حكايةٍ مرويّه * عَنْ مَلِكٍ يَحْكُمُ فِي الرعيّـــه
قدعاقه الإفراط فى علم الفلك * عن التروِّى فى أمورِ ماملك
يتركُ شأنَه لِنجم يرصُـــدُه * وكم عدوٍّ فى الوجود يقصدُهْ
قال لتـابِـع بـــه ألَمَّـا * فى ليـــلةٍ يرقُب فيها نجْمَـا
سوف أُرَى سكّانَ هذا القمر * بما اخترعتُ بصحيح النظر
أجابه خادمُه لا يبعُـــد * عليك ما تسعَى له وتَقْصِـدُ
مادمتَ تأتِى الأمرَ من أبوابه * فالشئ لا يبعـد عن طُلّابه
فقال عاقلٌ من الجلاّس * لا يصلحُ الجسمُ بغير الراس
من وُلِّيَ الملكَ العظيمَ يتعَب * وأنت لاهٍ للنجـوم ترقُب
اللهُ فى هـذا المقـامِ أنزلك * لتنظـرَ الأصلح فيما خَوَّلك
لا أن تكونَ حاكِمَ الأفلاكِ * ولا لكى تقضىَ فى السّماكِ
لكن تراعى عينُكَ الرعيّـــه * فى أمرهم وتصلح الـــبريّه
فالمُـلْكُ يرقى بالمليك العـادل * فى عاجل الأيّام أو فى الآجِل
فانظر رعاك الله أهلَ الأرض * واسلك سبيلا غير هذا يُرضِى
وكـن لمن ترعَى أباً وأمّا * على المُهِـــم قدِّم الأَهَمَّـا

وفى الموقف المرهوبِ قامتْ حِيَالَه * جموعٌ تَرُدُّ الطرْفَ وهو كليل (١)
فخاطبهم مستعطفا متبرِّئا * وراح كما شاء التِمَاقُ يقول:
أتى الذئبُ يغتالُ الخروفَ فلم أكد * أوافيه إلّا والخروفُ قتيل
فلما بدا لى بعده يأسُ أمّه * كرِهْتُ لها أنَّ العذابَ يطول
وإذ جاءنى الراعى يَهُمُّ بقِتْلَتى * فدافعتُ حتى لا يقالَ ضئيل
فقالوا جميعا إنَّ قولَك فِريةٌ * وليس عليها للخُلوص دليل
وليس جزاءُ المعتدين سوى الردى * وذاك على الباغى الأثيم قليل
فلو حَكُمَ الانسانُ عند اندفاعه * لَمَا كان للبلوى إليه سبيل
إذا المرءُ لم يغلِب هواه أقامه * بمنزلةٍ فيها العزيزُ ذليل

العظة الثالثة والخمسون

(الملك المشتغِلُ بعلمِ الفَلَك)

سبحانَ من فى كلِّ قلب أودَعا * ما شغل النفسَ به وأولَعا
وقوَّمَ الخَلْقَ وزانَ الخُلُقا * مسيِّرًا كُلًّا لِمَا قد خُلِقا
والمرء فى الدنيا كثيرُ الأمل * لكنه موفَّقٌ للْعَمَل
والله يعطى الملكَ من يشاء * يَصْحَبُهُ السعدُ أو الشقاءُ

---

(١) به ضعف

العظة الحادية والخمسون

(طالبُ الرزقِ بالحِرص)

ماذا يفيـدُ ذا الغِنَى غِناهُ * إن لم يزِنهُ الفضلُ فى دنياه
فلا يجارِى النفسَ فى مَطْمَعِها * و يضعُ الأموالَ فى موضعِها
بَرًّا بنفسِه و بالأوطانِ * و بالفقير من بَنِى الإنسانِ
هذا الذى يَعيشُ فى الحياة * منشرحَ الصدرِ إلى المَمات
يقنعُ . يستغنِى . يُلاقى حظًّا * ولم يخَفْ لائمـةً ووعظـا
أمّا الذى يعيشُ بالتقتـير * فعيشـهُ بالذُّلِّ و التحقـير
مهما يبالِـغْ فى طِلاب الثروه * فمـا لَهُ ممـا ينالُ حُظوه
يأكلُ غيرُه لَهُ ما يطبُخ * و يطفِئُ النارَ له من ينفخ

العظة الثانية والخمسون

(الكلبُ المذنب)

عدا كَلْبُ أغنامٍ على حَمَـلٍ بهـا * وعادَ ومِن فِيه الدماء تُسيل
فلمـا شكتْـهُ الأمُّ أَلحقهَـا به * وهبَّ على راعى القطيعِ يصول
وَقَدْكَانَ بَعْضُ النَّاسِ فِى الوَقْتِ حاضرا * وفيهم شهودٌ صادقون عُدول
فسِـيقَ إلى القاضى فأصـدرَحكمَه * بأنْ يقتلوه والجزاءُ مثيل

العظة الخمسون

(القاتل أباه)

قتل يوماً ولدٌ أباه * لغيرِ ذنبٍ بعدما ربّاه
فصار بعدُ قارعاً سنَّ الندم * لخوفه الحاكمَ لا اللهَ الحَكَم
وفرَّ للغابِ وقال مُعرِضا * في الغابِ لا تُبصرُني عينُ القضا
وبينما يجوسُ وسْطَ الغاب * إذا بعشٍّ لاحَ باقتراب
فصار يرمي العُشَّ بالأحجارِ * حتى أماتَ الطيرَ في الأوكار
وبعدَها عارضَهُ إنسانُ * وقال أينَ الرِّفقُ والحنانُ
ما ذا جنَتهُ هذه الطيورُ * حتى على أفراخها تجورُ
فقال في أصواتها رخامهْ * أخافُ منها أنها نمّامهْ
وقد فتكتُ بأبي إذ كانا * جعلني دونَ أخي مكانا
وظُلمُ ذي القربى على الإنسان * أشدُّ في الوقعِ من اليماني
أجابه تقتلُ نفساً طاهره * فكيف تنجو من عذاب الآخره
وجرَّهُ قسراً لدارِ الحاكمِ * كيما يُجازى بالعقاب الصارمِ
وقال مهجةٌ فداءُ مهجة * ثم اتقِ اللهَ بهذي الحجّة
يجني على فؤادِهِ مَنْ يجني * كادَ المريبُ أن يقولَ خُذْني

العظة التاسعة والاربعون

(البازى[١] وحمام)

لقد صادَ بازٍ ذات يوم حمامةً * رآها على بعضِ المياهِ تحومُ
فعاجلَها بالنقر لا ذنبَ عندها * ولكن جفاءٌ فى الصدورِ قديم
وقال وقعتِ الآن بين مخالبي * فلا كان لِى قلبٌ عليكِ رحيم
لقدأضمرتْ أَبناءُ جنسكِ سابقًا * لنا الحِقْـدَ حتى لافؤادَ سليم
سأشفِى غليلى منكِ غيرَ مُهادن[٢] * وما أنا فى قتـــلِ الأثيم أثيم
فقالت أيبغى جارحُ البازِ بالأَذى * حمامًا ضعيفًاوالضعيف هضيم
إذا انطلقَتْ منا إليكم حمامةٌ * فكلّكُم يبغِى الأذى ويروم
فقال لقد أقررتِ بالذنب جَهْرَةً * وجهرُكِ بالذنب الجسيم جسيم
فأهلكها من بعـد ما بان أنها * بَرَاءٌ وأن الذنب منه عظـــيم
وجدتُ الفتى يرمِى سواه بذنبِهِ * ويشكو إليك الظلمَ وهو ظلُوم

(١) واحد البزاة التى تصيد وهى ضرب من الصقور ويقال فيه بازٌ على وزن نارٍ وجمعه أبواز وبيزان (٢) مصح

فأبصرت عند الرجوع ثعلبا * ولم تجد إلى الخلاص مهربا
فسلمتْ لله كلَّ أمر * وانتظرتْ مآلَ ذاك الشر
لما دنا منها أجادَ الحيله * قال لها ما أجملَ الخليله
إنّى أراكِ من خيالى خائفه * نادمةً على الخروج آسِفه
وذلك الحقّ لأنّ جنسى * بظلمِهِ أباحَ قتلَ النفْس
وكم توخّيتُ له الإصلاحا * فعدتُ بالمسعَى ولا نجاحا
لذاك قد نبذتُهُ ظِهريا * إذ لم أصادِفْ عملا مَرضيّا
وصار دأبِى البذلُ للنصيحه * بذمّة ونيّةٍ صحيحه
ولا أكونُ فى الورَى شريفا * إذ أنَا لم أنصُرِ الضعيفا
لقد رأيتُ أحدَ الثعالب * سَعَى إلى عشِك سَعْيَ الغاصب
فصرتُ مسرعا إليه جريا * فإنّ مثلى لا يودُّ بغيا
فصدّقتْ وأدخلتْهُ فى القَفَصْ * فانتهزَ الفرصةَ والدنيا فُرَصْ
وأهلكَ الدجاجَ والأفراخا * لم تستطعْ وثبًا ولا استصراخا
المكرُ والخِبُّ (١) أداة الغادر * والكذبُ المحضُ سلاحُ الفاجر

(١) الخــداع

العظة السابعـــة والاربعون

(الرجل التائه فى الصحراء)

مِن الحكاياتِ شخصٌ ضَلَّ فى سفرٍ * عن الطريق وأمسى إِلْفَهُ الشَّجَنُ
وصار ترفَعُــهُ بِيدٌ وتَخفِضُــه * أخرى ولا ساكنٌ فيها ولاسكن
وللظمَا والطَّوَى فى وجهه أَثَر * وللضنَى والأَسَى فى جسمه وهَن
ويَحْفِرُ الرملَ ظَنًّا أن يكونَ به * ماءٌ وذو العذرِ بالأوهامِ مفتتن
وبينما هو فى الصحراء محتفِــر * أصابَ كَنزًا وفيه المغنمُ الحسن
فصــدّ عنه وماذا كان ينفــعه * إذ عمرُهُ بشراب المــاءِ مرتهن
أريدُ من زمنى ماءً فيمنحُنِى * مالًا فما ذلك التنغِيصُ يازمن
أينفعُ المــالُ والإنسانُ فى ظمأ * أَمَامَهُ الموتُ لاقبرٌ ولا كفن
ماكلُّ مايتمنَّى المرءُ يدرِكُه * تأتِى الرياحُ بما لاتشتهى السفُن

العظة الثامنة والاربعون

(الدجاجةُ والثعلبُ)

دجاجةٌ سليمةُ الطويه * غليظــةٌ فاقِــدةُ الرويّة
قدخرجتْ يومًا أمامَ القفص * معجبــةً تختــالُ بالترقص
وبَعُدتْ ومادرت من جهلها * أنَّ المنايا نُصِبَتْ لختلها

العظة السادسة والاربعون

(المزارعان)

مُزارعانِ أخوانِ كانا * قد ورِثا عن والدٍ بستانا
وكان هذا مُخْلِصًا لهذا * من خافَ ضُرًّا بأخيهِ لاذا
فواحدٌ قد لزِمَ الزراعه * وواحدٌ لم يرضَها صِناعه
كان الذى آثرَ حرثَ الحَقْل * من الشقيقين رجيحَ العقل
متكلاً مع اجتهادِهِ على * إلهِهِ قد جلَّ شأناً وعَلا
فتُخرِجُ الأَرضُ على قدرِ التعب * نباتَها من فضةٍ ومِنْ ذهب
أَمَّا الذى فى نُضْرةِ الشباب * فاهتمَّ بالبحث عن الأسباب
ليعلم البذرة كيفَ أَثَّرت * بغير رُوح فى الثَّرى وأثمرت
وكيف وهْى الحبَّةُ الصغيره * تجىء بالسنابل الكثيرة
فأخذتْهُ حيرةُ الظنون * وبات مما حارَ كالمجنون
وهامَ بالبحثِ وفاتَ الزرعا * فلم يُفِدْهُ بعدَ ذاك نفعا
وما جنتْ يداهُ إلّا تعبًا * لم يجْنِ من يَزْرَعُ شوكًا عِنَبًا

العظة الخامسة والاربعون

(الهر والمرآة)

رأى هِرٌّ خيالا منــه يوما * بمرآةٍ بها صَــقْلٌ بديعُ
فهمَّ إليـــه بالأظفارِ وثبا * ووثبُ الهرّ فى خطبٍ سريعُ
فلم يقدرْ عليــه فزادَ غيظا * وذو الحاجاتِ مفتتنٌ وَلوعُ
وقام يدورُ من خلفٍ يرجى * طلوعا حيثُ يمكنُهُ الطلوعُ
وعاد وقد رآه إذا تورّى * يغيبُ وفى الرجوع له رجوعُ
فلما حارَ منه وضاق ذرعا * وأفنى جهدَه الخطبُ الفظيعُ
علا المـــرآةَ ملتفًّا عليها * وذاك لأنَّهُ منها جَزوعُ
فمالتْ بالخيال فظنّ جهلا * بأنّ الهـرَّ داخِلَها ضجيعُ
فمدَّ أظافرَ الأيدى إليـــهِ * ليُمسِكَه فعاجَلَه الوُقـــوعُ
ولما لم تنـــلْهُ يداهُ وَلّى * وحقّق أنّ مطلبَه منيعُ
وعادَ لشأنِهِ يصـــطاد فأرا * وعزّ عليه أوقاتٌ تضـيعُ
إذا لم تسـتطعْ شيئا فدعْه * وجاوِزْهُ إلى ما تســتطيعُ

فقالت الشيوخ للشبان * الأمر سهل وهو فى الإمكان
لله أسرار مع التدبير * يحار فيها بصر البصير
إذا أردنا أن يدوم الماء * لنسقى الأرض متى نشاء
نقيم خزانا لحفظ المطر * ومنه نروى زرعنا بقدر
فصوبوا مقاله جميعا * ونهضوا لشغلهم سريعا
لكن كلا فى المياه طمعا * فأكثروا جداولا وترعا
وأطلقوا المياه فى الجداول * وخالفوا قول النصيح العاقل
فصار ماء أرضهم طوفانا * أغرق من كثرته المكانا
والناس هاجت كلها فى الحال * على شيوخهم لسوء الحال
يرمون كلا بالأذى والعيب * بلا حياء من وقار الشيب
قالت لهم شيوخهم قد جزتم * حد الصواب فى الذى استجزتم
إنا بحفر جدول أمرنا * وما بكل هذه أشرنا
وأنتم عن طمع وجهل * فرقتم الماء بغير عقل
إن الجهول المستبد طبعا * يضر من حيث يريد النفعا
من أبرم الأمر بلا تدبير * صيره الدهر إلى التدمير
وقيل فى أمثالهم إن الطمع * يذهب كل ما له المرء جمع

العظة الثالثة والاربعون

(المعجبُ بآبائه)

فتىً من بنى الأتراكِ كان له حسبْ * وكان يَجُرُّ الذيلَ فخراً على العربْ
يعدِّدُ بينَ الناس فضلَ جدُوده * ويذكُرُ تاريخَ المناصبِ والرُّتَب
ويحسَبُ أنّ المجدَ فى بيته له * تراثٌ وأَنّ المجدَ يورَثُ بالنسب
فما زال مختالا يبدّدُ إرثه * وليسَ لَهُ فى المجدِ والمالِ مُكتسب
إلى أن مضى عصرُ الشبابِ وعزّه * ولم يَنْتَفِعْ فيه بعلمٍ ولا أدب
وأصبح مخفوضَ الجَناح كسيرَه * وكم جاهلٍ مجدُ الجدودِ به ذهب
إذا الغصنُ لم يُثمرْ وإن كان شعبةً * من المثمراتِ اعتدّهُ الناسُ فى الحَطَبْ

العظة الرابعة والاربعون

(الغَرَقُ والطوفَانُ)

يقالُ كانت قريةٌ معموره * بأهلها وبالغِنَى مغموره
سُكانُها من خيرِها العميم * قد أصبحوا فى جَنّةِ النعيم
ثم أصابتْهم صروفُ الدهر * فبدّلتْ يَسَارَهُم بالعسر
فنَضَبَ الماءُ وقلّ القوتُ * وأوشكَ الجميعُ أن يموتوا
وأصبحوا فى حَيْرةٍ وطَيْش * لما رأوه من مريرِ العيش

أقبلَ قومٌ من بنى الإنسان * على صدَى الصوتِ بلا توان
فاتفقوا أن تُنبذَ الخصـومه * ويُعرَض الأمرُ على الحكومه
وطلبوا التحكيمَ فى القضيّه * من هؤلاء القومِ عن رَوِيّه
فاهتمّ منهـــم واحدٌ وقاما * وكان بالخيولِ مُســـتهاما
وقال إنّ أَشرفَ الأنواع * كرائمُ الخيولِ بالإجماع
لأنّها المُساعِدُ الوحيـــدُ * فى كل ما ينفعُ أو يُفيد
لها مزايا فى الحروبِ لاتُعَدّ * والخيلُ فيها الخير معقودٌ ورَدّ
وآخرٌ قـد مدحَ الحِمَارا * مبالِغًـا فى مدحه جهارا
وقامَ واحدٌ من الجماعه * وامتدحَ الثيرانَ للــزراعه
وقال لولا الحـرثُ بالثيران * ماتمّ زرعٌ لبنِى الإنسان
فانصرفوا وما أتَوا بحُكم * لواحدٍ يَدْحَضُ قولَ الخَصْم
بل كلٌّ فرد عن هواهُ ينطق * والمرءُ مُغرًى بهوى مايَعْشَق
وذاك صِدقُ قولهم فى الماضى * الحكمُ ماترضاهُ نفسُ القاضِى

حتى إذا ماقَلَّتِ المياه * ورجعَ النهـرُ إلى مجـــراه
لمْ تَستطعْ أن ترجعَ الأسماكُ * وعمَّ فيها الويلُ والهـــلاكُ
وهالكٌ مَنْ سارَ فى هــواهُ * مخالفًا فى ســيره أباه
والنفسُ إنْ أتبعتهَـا هواها * فاغرةٌ نحـــو ردَاها فَاهَا

العظة الحادية والاربعون

(الجُـرذُ والمـبْرَدُ)

ســعى إلى رزقِهِ فى ليـلةٍ جرذٌ * يُؤمِّلُ الخيرَ لكن خانَهُ الأَملُ
أَصابَ بعدعناءٍ مِبردًا خشِـنا * صُلْبا تسنُّ به الأَسيافُ والأَسلُ
فصار يقرِضُ قرضا ماله أثَر * فيـه ومزَّقَ فاه ذلك العمـلُ
وهكذا من يعانِى غيرَ مختبرٍ * مالا يُطيق عَراهُ الضُّرُّ والفشل
كناطح صخـــرةً يوما ليوهِنَهَـا * فلم يَضِرْها وأَوهَى قـرنَهُ الوعِل

العظة الثانيـــة والاربعون

(الثَّورُ والحِصانُ والحِمارُ)

تفاخَرَ الحِمارُ والحِصانُ * والثورُ حين ضَمَّها مكانُ
وصـاركلٌّ يزدهِى بفخرِه * على ســواد وعُلوّ قـدرِهِ
فبينما الجميعُ فى جِـدال * وقِيلهُــم مُختلِطٌ بالقـالِ

أوّاهُ من عهد الصِّبا ⁎ لم يبق غير الذكر
يا ليتَ لى صناعةً ⁎ مثلَك تُعْلى قدرى
فالمرءُ بالصنعة قد ⁎ يأمنُ شرَّ الفقر

العظة الاربعون

(السمكة)

نصائحُ الآباءِ للأبناءِ ⁎ مثلُ دواءٍ مُبْرِئٍ للداء
قد أَخذتْ سمكةٌ كبيره ⁎ تنصَحُ أولادا لها صغيره
قالتْ بناتى كُنَّ وسطَ النهر ⁎ واسبحن لا تجئْن نحو البرّ
واحذرْنَ من حبائلِ الصيّاد ⁎ فإنّها لكُنَّ بالمرْصاد
وكان هذا القولُ فى الشتاء ⁎ والماءُ يهمى من فم السماء
وعمَّ هذا الماءُ كلَّ الأَرض ⁎ منتشِرا فى طولها والعرض
وعندذاك فارقَ النهرَ السمكْ ⁎ وعام فيما حولَهُ من البركْ
وقال يامن نَصَحَتْ وحذَّرتْ ⁎ من الردى وهوّلت وأنذَرت
قُومى انظرِى دنيابَدَت جديده ⁎ فيها لنا ممالكٌ عديده
قالت لهن هذه العجوزُ ⁎ مخالَفاتُ الأمّ لا تجوزْ
قالت لها بناتُها دعينا ⁎ لسنا لنُصحِ منكِ سامعينا
ولم تعُدْ لنهرها المصون ⁎ مغترةً بخدعةِ العيُون

العظة التاسعة والثلاثون

(القُــبَّرة[1] والقُمرية[2])

قــد جاورتْ قُــبَّرةٌ * إحدى شوادِى القُمرى
وطالما قالتْ لهـــا * أحرجتِ شَدْوًا صدرى
الصــوتُ ليس مجدِيا * إلَّا ضــياعَ العمــر
أمّــا أنا فطاعــتِى * بكلّ حُسن تُزرِى
إنّى خُلِقْتُ للهـوى الــعُذْرىّ وهـو عُذْرِى
ثم نأتْ كلتاهُمـا * على اختلافِ فكـر
وصـار كلٌّ منهما * على هـــواه يجـرى
وبعـد أعوامٍ مضتْ * تــراءتا فى قَفْــر
والحسنُ عن ربّته * ولّى كعُمْر الزَّهـر
قالتْ لهـــا جارتُهـا * قولَ النصيح الحُــرّ
أينَ جمـالُكِ الذى * كان جمالَ الفخرِ
مضى البهـاءُ وانطوَى * ومالَهُ من نشــر
وللجَــمال دولـــةٌ * قصــيرةٌ فى الدهــر
قالت لهـا لا تذكُرى * ماقد مضَى من أمرى

(١) القُــبَّر كسُكَّرٍ ضرب من العصافير الواحدة قبَّرة (٢) والقمرى من الفواخت والانثى باخاء

واعلم بأنّ العيشَ بين ربوعنا * عيشٌ يعَـزُّبه الذليـلُ ويرفعُ
لم تلقَ فينا واحدا مسـتأثرا * منـا بشئ للجماعـة ينفَـع
هذا الفضاءُ بأرضِـهِ وسمـائه * مِلكٌ لنـا بجمـالِهِ نتمتـع
نرعَى بأمن فى الرُبا ونذيرُنا * مترقبٌ لحـدوثِ ما يُتـوقع
وبذاك نقضى عمرَنا فى راحة * ماللبـلايا فى ذُرَانا مطلع
فاذا رَضِيتَ بعيشنا وبملكِنا * فادخل حِمـانا إنذلك أوسع
فأجابهم إنى رضيتُ بعيشكم * وبذلك الحـكم المقدَّسِ أقنع
فأتتْ تهنّئُه الأَرانبُ كلُّها * ممـدودةً للشـكر منها الأذرع
لكنَّه لمـا توطَّـنَ بينهـا * وحوَى الجميعَ على بساطٍ مجمعُ
وَخَزَت(١) رقيقَ جسومهم من جلده * إبرٌ ضِخَـامٌ كالأسـنّة شُرَّع
وجلودها مثلُ الحـريرِ نواعم * بأرقّ من وَبَرِالنسيج تَصدَّع
فأتَوْا وقالوا قد أسأتَ جِوارنا * فارحلْ فما لك فى حمانا موضع
قد سَاءَنَا شوكٌ بظهرِك جارحٌ * أنّى نلامِسـه ففيـه موجـع
فأجابها إنى خلقتُ بصـورة * يؤذَى بها جارِى فماذا أصنع
كل آمرئ متصرّفٌ بطباعه * ليس آمرؤٌ إلَّا عَلَى ما يُطْبَع

---

(١) شاكت

أَصْغِ إلى الارشاد يا إنسانُ * يا غادرا كأنّه الزَّمان

لاتقطعنّ هـــذه العجوزا * فقطعُها بالظلم لن يجوزا

دعْها لنا دارا وهاك العسَلا * وحبـذا الشُّهدُ اللذيذُ بدَلا

إن بعتَه أصبحتَ ذا يسار * وإن أكلتَـهُ فرزقٌ جار

فقال للنَّحْلِ ونِعْمَ الشُّورى (١) * اذ كنْتِلْتِ لِى بأن أشـورا (٢)

ومن يبيعُ عاجلاً بآجل * والمرءُ مفتونٌ بحبِّ العاجل

وعاجزٌ من يترُكُ المـوجودا * فى وقتـه وينْشُـدُ المفقودا

فقالت الشُّهدُ ضمـانٌ أكبر * وهـو لديكَ كل يوم يُحضَر

فقـال إنى قانع بالبـدل * وراجع من أجله عن عملى

لاينتهِى للمرءِ فى الدنيا طلب * وليس يمشى المرءُ فى غير أرب

العظة الثـامنة والثلاثون

(القنفذ والأرانب)

قد فارقَ الأوطانَ يوما قُنفذٌ * يبغى المعيشةَ حيث ضاق المربع

فأتَى الأرانبَ طالبـا لجـوارها * متوخيـا خضـراءَ فيهـا يرتَع

فحَنَتْ ومامنعتْ وقالت مرحبا * عش كيف شئتَ فلست منا تفزَعُ

---

(١) الاستشارة (٢) أى اجتنى العسل

العظة السابعـــــة والثلاثون

(الشجرةُ القديمة والبستانى)

فى روضةِ الأزهارِ كانت شجره * شاختْ فلا تُثْمُرُ أدنى ثمـره
فرامَ أن يَحطِمَها البســتانى * لكى تكونَ طُعمــة النيران
فجــاءها صــبيحةً بفــاس * أعدَّها لهــا بقلب قاسى
قالت له أنا أنا الكمَّثْرى * أنا الــتى بِهَا حِمَــاكَ أثرى
أنا التى فى زمن الشــبابِ * كانَتْ عروسا غَضَّةَ الإهاب
إنْ لم تكن لِحَرَمى محترِما * ورمتَ هذا الموتَ لى محترما
فاصبر فإنى عن قريبٍ أعدمُ * والضربُ فى الميِّتِ قالوا يَحرُمُ
قال وكيف أجدُ اصـطبارا * وقـد منعتِ عَنِّيَ الثِّمَـارا
قد خُلِقَ الإنسانُ وَفْقَ الحال * لايذكُرُ الذى مضَى بحــال
وما أردتُ حطمَكِ اختيارا * وإنمــا أردتُه اضــطرارَا
وكانت البــلابلُ الشــجيّه * من فوقها تَسْتَمِع القَضيّه
قالت له عن قطعها كُفَّ اليدا * واستبدلَنْ تغريدنا مردَّدا
فلم تُفِــدْ أقوالُهــا لديه * وقام والمِعْــوَلُ فى يديه
فخرج النَحلُ إليــه حالا * من جِذْعها مدافعـا وقالا

العظة السادســة والثــلاثون

(راعي البقرِ وحارسُ الصيد)

راعي أبقـارٍ في حَقْـل * لاقى صـيادا في القفـرِ
فرآه يقـول أنا تَعِبٌ * بالعـدْو على تيْسٍ برِّي
وَلَكَمْ أرميـه بسِهامي * فينجّيـه طولُ العمـرِ
قال الراعي شاهدتُ التيـ * ـسَ قريبا من بقَرِي يجري
فاحرسْ بقـري وأنا أرميـ * ـه بسهم ينفـذُ في النحرِ
أعطاه القوسَ وكلبَ الصيـ * ـدِ وقال اصطدْ واغنم شكري
فالكلبُ عدا فرِحا بالصيـ * ـد وذاك الراعي في الإثْرْ
ورمَى الراعي فاصطاد الكلـ * ـبَ وفرّ التيسُ من الذُّعْرِ
وعقيبَ الرمْيِ رأى ما كا * نَ فأكبرَ عاقبةَ الأمر
وارتدَّ لصاحبـه فإذا * هو أنومُ من عقل الغِرّ
ورأى الأبقارَ قد اخْتُطِفَتْ * من غيرِ خفيرٍ في الفجـر
فمضَى لأبيـهِ فقابَلَهُ * بالضرب وبالغَ في الزجر
ما شأنُك يا هـذا المغرو * رُ وشأنُ الصيّادِ المُغْرِي
لو لازمَ كُلٌّ صـنعتَهُ * لنجا مالي ونما وَفْري
لا تَدخُلْ فيما لا يَعْـنِي * لا تُسـرِعْ فيما لا تَدْرِي

العظة الخامســـة والثلاثون
(الهر والجرذان[1])

قد كان هِرٌّ عند شخصٍ مُكرَمَا ✻ يُطْعِمُه من الطَعامِ الأدسما
لذلك الجرذانُ كانت تأمَنُ ✻ من شرِّهِ بلْ وإليه تركَنُ
حتى إذا ما غرّها الغرُورُ ✻ ولعِبتْ في نفسها الشُّرورُ
وأبصرتهُ ساعةً حزينـا ✻ مستجمعَ الأطرافِ مستكينا
لم يمددِ الظُفْرَ ولا رامَ الظفر ✻ ولا بجَفنِ العين نحوَها نظر
فظَنّتِ الجرذان أنّه ارتَعَدْ ✻ منها وأنّه من الخوف قعدْ
وعزَمتْ في نفسها أن تُمْلكه ✻ وهبَّ منها واحدٌ فأمسكه
وقال للجرذانِ هيَّا فاهجُموا ✻ عليـه حالا فالهجومُ مَغْنَم
لقد شبِعنا من حبوبِ البُرِّ ✻ ونشتهى مَذاقَ لحمِ الهـــرّ
فاليومَ فيه ساعدتنا الفرصه ✻ إن فاتتِ الفرصة باتت غصّه
فحَملت طُرًّا عليـه حَمْلَه ✻ عادت عليها خيبـةً وذِلّه
لأنه استشاطَ منها غضبـا ✻ فقـام للفتـكِ بها ووثبـا
حتى أبادَ عُصبةَ الجرذان ✻ فهلكتْ بالجهل والطُغيان
من أمِنَ الدهرَ أُتِى من مَأمنِه ✻ لا تستثر ذَا لُبَدٍ من مكمنه

(١) الجرذ ضرب من الفأر أعظم من اليربوع

وقال إنى لســعيدُ النفسِ * بقتـلِى اليومَ لهـذا النِكْسِ (١)
فانتحب الكلب فقال الشبل * عَلَامَ تبكِى والعقـابُ حِلّْ
قال بكيتُ من سرورى أن أرى * مِنَ الذى ربّيتُه ماقد جرى
ياشبلُ قد صرتَ إلى الكمال * من العلوم ومن الخِلال (٢)
فعُــدْ إلى والدك المليك * لتســتَتِمّ خُلُقَ المــلوك
وإنّمــا آباؤك الأســودُ * والشئُ نحوَ أصــلِهِ يعــود
وكلّ شئٍ لاحقٌ بجوهره * أصــغرُهُ متّصِلٌ بأكبره

العظة الرابعــة والثلاثون

(السمكة الطيارة)

من السمكِ الطيارِ واحدةٌ شَكَتْ * إلى الأُمِّ ما تخشاهُ وهى تعـومُ
إذا ما سمتْ فى الجوِّ فالنّسر حائمٌ * وإن هى غاصت فالوحوشُ تحومُ
فكيف تُوَقِّى نفسَها شرّ ميتــة * وفى وجهِها فى الحالتين خصوم
فقالت لها الأمُّ الرحيمة يا ابنتى * إذا شئتِ أَلّا تعـتريكِ هموم
فلا تعْتـلى فى الجوّ فالجوّ غائلٌ * ولا تَسْفُلِى فى البحر فهو هَضوم
عليــكِ بأوساطِ الأمورِ فإنّهــا * طريقٌ إلى نهج الصواب قويمُ

---

(١) النكس الرجل الضعيف الدنىء الذى لاخير فيه (٢) الخصال

وكيف أَخذُ الذئب للأغنام * يُورِدها مــوارد الحِمام
والنِمرُ كيف يَصرعُ الكَركَدنَا * ولم يَكُنْ بِقِـرنِهِ مُؤمَّنَا
والقِرد بالتمليق بين الناس * يعيشُ فى عزٍّ وفى إيناس
والثور يُمضى عمرَه فى تعَب * وغيرهُ فى لذَّةٍ وطــرَب
وكيف حقُّ الضعفاء يُسْلَبُ * والاقوياءُ بالحقـوق تَلْعَبُ
ويُحْرَمُ الراجى ويُعطَى القانط * ويُبعَدُ الأدنى ويُدنَى الشاحط (١)
فعند ذاك الشبلُ قال يا أبى * لقد فَهِمتُ شرحَ هذا المطلب
فهــل ترى مليكَنا ذا علم * وخِبرةٍ بكلّ هذا الظلم
قال له الكلبُ وكيف يدرِى * والغِشُّ فاش فى ولاة الأمر
أَما ترى المليكَ فى حجـاب * بقصـــره مغلَّق الأَبواب
يُحجَبُ عنه البائسُ الفقيرُ * ومنه يدنو الموسرُ الكبير
وبعد هذا كله الشبلُ عَرفْ * كُنهَ الأمورِ وعلَى السرِّ وقف
حتى غدا فى المُلْكِ واسعَ النظر * مكمَّلًا حميــدَ خُبْرٍ وخَبَر
وجاء فى وقت من الأوقات * نمرٌ شديدُ البأس فى الغارات
ليقتــلَ الكلبَ ولا يبالِى * بأنه مــؤدِّب الرئبال (٢)
فأَقبــل الشــبلُ عليه عاديا * وافترسَ النمــرَ فخرَّ داميا

(١) البعيـــد (٢) الاســـد

فقام ثعلبٌ وقال المكرُ * عليه فى الملك يدورُ الأمر
وقال كلب إنما البسالة(١) * للملكِ الجبارِ أدنى حالة
العـــدل للسلطان منها أليق * وهو به من كل خَلْق أَخْلَقُ
والغلظـــةُ التى رآها الدُّبُّ * كافلةً للبركات كِذْبُ
والمكر أيضا عَوْرَةٌ وشُنْعَه * بين الورى ولو رأينا نفعه
فَلْيَدْرسِ الحكمةَ يا مولايا * فإنها كاشـــفةُ البــلايا
فإن تُرِدْ لشِـــبْلِكَ الفَلاحَا * وأن يَرَى فى مُلْكه النَّجَاحَا
فَاغْمِسْهُ فِى حبِّ الرعايا والوطن * فهذه المنَّةُ من خير المنن
فلبِثَ الجمــيعُ سامعينا * وسلّموا لِلْحُكْمِ خَاضِعِينَا
وٱمتدح المليكُ رأيَ الكلب * وقال أنت لٱبنيَ المــربِّي
فصار بالشبل من الغداة * يضربُ فى الربوة(٢) والفـــلاة
وقال قدرمتُ لك السياحه * فى الكون حتى تعرفَ اصطلاحه
وكلما طاف به مكانا * أراه حال قومه عِيانا
فعرفَ الخـائفَ والمُخِيفا * وعادِمَ العفـــةِ والعفيفا
وكيف يأكلُ الدجاجَ الثعلبُ * وكيف صار فى يديه الأرنبُ

(١) المهارة والشجاعة (٢) ما ارتفع من الارض

فطوى أخوه الكشحَ عنه وقال هل ✽ يقفُ الضعيفُ بموقف الجبّار
هــلاّ حكيتَ الليثَ فى وثباته ✽ إن كنت تحكيه بلبس شِعار
والــدُّرّ لا يخفَى على طُـلاّبِهِ ✽ شـتّان بين الدُّرِ والأحجارِ
ثوبُ الرياءِ يَشِفُّ عمّـا تحتَـه ✽ فإذا اكتسيتَ به فإنّك عارى

العظة الثالثة والثـــلاثون

(تهذيبُ الأَسَد)

قد رزقَ اللهُ مليكَ الأُسْــد ✽ شِبلا(۱) به رجّى تمـامَ السعد
فجمع الجمـــوعَ كى ينتخِبا ✽ مـن بينها لشـبله مؤدِبا
وقال أبغى يا ذوى الألباب ✽ أن ينشأ الشبلُ على الآداب
فينتقُــدَ الأمورَ والأَحوالا ✽ ويعرفَ الحـروبَ والنِزالا
فقام يبـدى النّمِرُ الجـوابا ✽ وقال عنّى فاسمعوا الصـوابا
جئه بِأُستاذٍ كَمَيْفٍ عَضْبِ(۲) ✽ مِغوارِ شوطٍ وشُجاعِ حربِ
فصـدّقَ الدبُّ كلامَ النّمِرِ ✽ وقال إنه مصيبُ الفِكر
وليكن الأســتاذُ ذا ثبات ✽ يدرى شؤونَ الأُسْدِ فى الغابات
غليظ جسمٍ وبطىء حركه ✽ كيا يظنّ الخلقُ فيـــه بركه

(۱) ولد الاسد (۲) قاطع

العظة الثـانية والثـــلاثون

(الافيالُ والآسادُ والكلبُ)

مابين أفيـالٍ وآسادٍ جَرَتْ * حربٌ وكان شبوبُهـا كالنـار
ظفِرتْ بها الأفيال حتى أنهـا * بُنُيـوبهـا طالت على الأظفارِ
وسمـا لعَرش المُلك فيـلٌ قادر * قد كان صاحبَ حِكمـةٍ ووقار
واستبعد الآسادَ عن أوطانها * كي لا تعاودَه لأخذ الثـار
لمـا رأى الدنيا تنـكَّرَ حالُهَـا * كلبٌ مُضرَّى(١) بينهـا متضـار(٢)
نادَى الرفاقَ وقال إنى راحل * ومفـارقٌ رَهطى وعِزَّ جوارى
وأموت فى أرض غريباً أهلُها * لا يعرفون لجهلهم مقدارى
فالله حَسْبُ الظالمين وحسبهم * يومَ الحساب أسىً عذابُ النـار
وعقيبَ ذلك جاءَهُ جارٌ له * مستفهِمًا عن هذه الأخبار
لِمَ أنت عن هَذى المواطنِ تنثنى * وتضلّ بين سَبَاسبٍ وقِفار
والنفى مقصورٌ على أُسد الشرى * هل أنتَ فى حكم المَصُور الضارى
فـأجابَه أوَ ما علمتَ بـأنّنى * أسـد يَـبُزُّ الأُسْدَ يوم نِفـار

(١) ضراه به تضرية ألهجه به وأغراه وعوده الصيد فهو مُضرًّى أى مغرى

(٢) متضار متظاهر بأنه ضار

أجابتها الحمامة إنَّ هذا * كلامٌ بالأُلى يأسوا خليق
خذى لك فى الحياة خليلَ صدق * فبالأحباب يتسع المضيق
فقالت ليس فى الأحبابِ خيرٌ * وكلٌّ نحوَ غايته مَشوق
فقالتْ بل همومٌ عيشُ منْ لم * يعاونْه على البلْوَى رفيق
خذى لك صاحبا من بيت مجد * فليس يخونُك الأصلُ العريق
وغُضِّى الطرف إن لاحت عيوبٌ * من الرفقاء أو هُضِمَتْ حقوق
ومن يبغ الصديقَ بغير عيبٍ * سيبقَى الدهرَ ليس له صديقُ

العظة الحادية والثلاثون

(الثعلبُ المختفى)

قد كان فى ثعلبٍ حِذقٌ وكان له * علمٌ بأحوالِ دنياهُ وتجريبُ
فاختارهُ الملِكُ العالى لخدمته * وهكذا الفطنُ النحريرُ مطلوب
لكنه عاش فى فَقْرٍ لعفته * والصادقُ الحرُّ مكروهٌ ومغلوب
حتى إذا ماوشى واشٍ لسيده * به مَضَى وهو معزول ومكروب
وراحَ يشكو إلى جَدٍّ له هَرِمٍ * مما دَهَاهُ ودمعُ العين مسكوب
وقال بالغتَ فى نصح نصحتَ به * وكلّ شئ له لُطفٌ وأسلوب
إن اللبيبَ مع الدنيا يدور كما * تهوَى فيُصبح فيها وهو محبوب
كم من نصوحٍ تحامى الناسُ عشرتَه * وذى خِداع له بالغِش تقريب

لذاك فى النهرِ أجيــلُ الطَّرْفا * أرقبُ هــذا المــاءَ كى يجِفّـا
فالتفت الناصحُ بارتيــاحِ * وقال للفــتى وللفــلاحِ
كلاكما فيما تمنَّى أحمــقُ * وفى الضلال موغِلٌ ومغــرقُ
المــاء لا يجِفّ فى مجْــراه * ولا يتوبُ راكــبٌ هواه

العظــــة الثلاثون

(البُومةُ والحمامةُ)

تشــكَتْ بُومةٌ أن لا حبيبٌ * ولا بعــلٌ ولا خِلٌّ صــــدوقْ
وقالت قد كبِرت وهُدّ جسمى * وخانتنى المفاصــلُ والعــروق
فلا أحدٌ يزورُ عجــوزَ دهــرٍ * وإن زاروا فإنى لا أطيق
فجاءتهــا الحمــائمُ باكــياتٍ * ومدمَعُهــا بشــكواهــا طليق
وقالت قد سمعتُ فذاب قلبى * ولى قلبٌ من الشكوى رقيــق
فمــالكِ والشَّــبيبةَ قــد تولت * ولا ثمــرٌ ولا غصنٌ وريق
رضيتِ بالانفــراد فلا قريبٌ * ولا زوجٌ ولا ولد شفيــــق
أجابت فى الزواج أذًى وضرٌّ * وفى الأولادِ شــرٌّ أو عقــوق
وما قصد القريب سوى حِمامى (١) * لنيــــل الإرثِ فهو له طريق

---

(١) الموت

العظة الثامنة والعشرون

(الثعلبُ والليثُ والأرنبُ)

رأى ثعلبٌ فى عُرْضِ صحراءَ أرنبا * فهبَّ إليهِ واثبا خلفَــهُ يَعدُو
فطاردهُ(١) فى الحال لَيثٌ وصادَهُ * وكان نصيبَ الثعلبِ الجِدُّ والكدُّ
فلمــا رآه فى يد الليث عافَــهُ * وحجةُ من لم يبلغ الأملَ الزهــدُ

العظـــة التاسعة والعشرون

(الفـــلاحُ والنهرُ)

قال فــتًى لأحدِ الأصحــابِ * إنى استخرتُ الله فى المتابِ
فقد سئمتُ كثرة الزَّلَّات * وفَرْطَ الانهماك فى اللــذاتِ
قال لهُ الصاحبُ دونك العمل * فكلّ من سارَ على الدرب وصل
إنّ كمالَ النفسِ فى الفضــيلَه * وعيبُهــا النُّقصانُ والرذيله
أصــغَى إلى النُّصحِ وما وعاه * وظــلَّ ســائرًا على هـــواه
ثم تمــاشــيَا بقـــربِ نَهْــر * وشاهَــدَا المِيــاهَ فيه تجرِى
فصــادفا فى شـــطِّهِ فلّاحا * يَرودُ(٢) غـــير مُزْمِــعٍ بَرَاحا
يقــول أبتغى عُبــورَ النهــر * وليس من ســفينةٍ أو جسر

---

(١) حمَــل عليه (٢) يطلب

حتى إذا ماعظمتْ قُـواها * ودَرَجَت تحملُها رجـــالاها
لم تُرَ فيها بينهـا من فَـرْق * والحبّ يُعمِي عن طريق الحق
وبينما الجميـــعُ فى الرياض * وكلّ إلفٍ عن أخيه راضى
وقد رأى الحسّونُ هذا أهلَه * فى الروض لايخالفون شكلَه
والبعض منهم قال يابن جنسى * ما اخترتَ من قوم فدتك نفسى
إنك فى صُحبتهم مَغبــون * فلا خَلَتْ من رأسك العيون
أما ترى لونَهُـمُ المصفرا * ولونَكَ المخـالفَ المُحمـرا
إلى متى بالغيّ والتـلاعُبِ * تَستبدِلُ الأصحاب بالأقارِب
إنّا على البِعـاد والتفـــرق * لَنلتقِي بالأصـل إن لم نلتق
ومن يكن يَصحَبُ غيرجنسِه * فجاهلٌ والله قـــدرَ نفسـه
فقـال قد صحبتُها طـويلا * فـلم أجد لودِّها مثيـــلا
فإن تكن أشكالُنا مختلِفـه * فهـــذه قلوبُنا مؤتلِفـــة
حاشاى بعد الودّ أن أكونا * لمن مُنِحتُ ودَّه خؤونا
رُبَّ ابن عمّ ليسَ بابن عم * رُبَّ أخٍ لِى لم تـلده أمى

انظـرِ البحر وأيقظْ صاحـــبي * فهو مثـــلي في اشتياقٍ للّقـاء
فرأى الثعلبُ أن حانت لَهُ * فرصةٌ يغـــنَمُ منهـا ما يشـاء
قال إنّي آكلُ اثنـــينِ وما * أكْلُ صيدينِ وصيدٍ بســواء
فـــدهاهُ الكلبُ إذ أيقظـــه * وفـرت أنيـابه منـــه الفِراء
وســقاه كأسَ مـوتٍ عاجلٍ * وشـفى الغُـلّةَ من تلك الدماء
كلّ من يحفِـرُ جُبّـاً وقَعْ * فيـــه والجـانى لَهُ شرُّ الجزاء

العظة السـابعـــة والعشرون
(العُصفورُ نكّارية والحَسُّونُ)(١)

دسَّ فتًى من صادة الأطيار * بيضــةَ حسُّونٍ على (كَنَّارِ)
فبقيتْ كبيضـــه في العُش * وما درَى بأمرِ ذاك الغش
حتى انجلتْ وفرخُها في التّقف * فـكان للأفراخ خير إلف
مابين أمٍّ تعتـنى ووالد * يعــودُهـا بصـلةٍ وعائد
ويُطعِمُ الجميـــعَ بالـترتيب * وللبعيـد أُسْـــوَةُ القريب
وكلّها على فِــراشٍ واحد * مضطجعٌ كإخْــوَةٍ لوالد

(١) عُصفور ذو ألوان بحمرة وصفرة و بياض وسواد و زرقة وخضرة يسميه أهل الاندلس أبا الحسن والمصريون أبا زقيه

العظة السادسة والعشرون

(السنجابُ[1] والكلبُ والثعلبُ)

جمعَ السنجابَ والكلبَ معا * خالصُ الودِّ وصدقُ الأوفياء
خرجا صُبْحا يسيحانِ ولم * يأكُلا حتى أتى وقتُ المَسَاء
فابتغى الإلفانِ مثوًى لهما * هاتِهِ الليلةَ فى ذاك الفضاء
فانتقى الكلبُ وِجارا[2] غائرا * واصطفى السنجابُ غصناذا عَلاء
ثم حينَ الليلُ أرخى سِترَه * أقبل الثعلبُ مشهورَ الدَّهاء
فرأى السنجابَ فى الغصن ولا * يملكُ الوثبَ إليه فى الهواء
فسعَى بالمكرِ كى يُنْزِلَه * قائلا ياخيرَ كلِّ الأصفياء
أَنا أقلقتك فاغفِر زَلَّتى * فَهْىَ عن حُبٍّ صحيح وَوَلاء
كان أوصانى أبى فى صِغَرى * بمراعاتى لكم عهدَ الإخاء
لك عندى حصةٌ آيلةٌ * من تُراث عن أُناسٍ أقرباء
فدَرَى السنجابُ ماينوى ولا * تنفعُ الحيلةُ عند الأذكياء
قال فى الحالِ انتظرنى إننا * سنقضِى العمر فى عيشِ الرخاء
غير أنّى لى نديمٌ ها هُنا * نائمٌ فى الجُحرِ من طولِ العناء

(١) دابة كالفأر جلدها من أعظم الفراء (٢) جحرا

تعطيه ما يشتهيه منها ۔ حتى بدا فيه الاغترار
وتاه بين الطيور عُجباً ۔ وما عليها لهُ افتخار
فبالغتْ أمُّه بنصح ۔ لهُ وعنها بهِ ازورار
تقول حاذرْ بنيَّ واعلمْ ۔ انّ طيورَ الفضا شرار
دعْ ذاك الزهوَ واجتنبهُ ۔ فالزهوُ من بعده الخسار
يحبّك الطيرُ ثم ترضى ۔ صغارُه عنك والكبار
فلم يُفد نُصحُها بشيء ۔ ولم يَرُضْ خُلْقَه اعتبار
وأطلقتهُ فطار يوماً ۔ وشطَّ عنها به المزار
فازورَّ طير الأراك عنه ۔ ونالهُ منهم احتقار
وقال منها لهُ غراب ۔ جاءك من جهلك البوار
واقتصَّ منه بنتف ريش ۔ وما تأتّى له الفرار
فراح في حسرة وذلّ ۔ مضطرباً مالهُ قرار
وعاد نحو الحمى حزيناً ۔ ونفسُه كلُّها انكسار
من لم يؤدّبهُ والداه ۔ أدّبهُ الليلُ والنهار

وهَمَّ في الحال بلا أناةٍ (١) * فحطَّمَ الشكلَ مع المرآة
وصار يشكو نصبًا من فعله * وما جنى عليه غيرُ جهله
فوقفت الأُمُّ وضمت صدره * وقبَّلتْ من الحنانِ ثغره
قالت له ألستَ أنتَ البادي * وهل سِوى نفسك كان العادي
أجابها أَجَلْ لقد شرعتُ * فما له يصنعُ ما صنعتُ
قالت له لقد ركِبْتَ الوهما * وإنما رأيت منك الرسما
وذلك الشكلُ الذى تأباه * كلّ الذى أجريتَهُ أجراه
الآن فانظرهُ وأنت مبتسم * تجدْه أيضا بالسرورِ يبتسم
فإن فعلت الخير تلقَ خيرا * وإن فعلت الضير تلق ضيرا
فالمرء مجزيٌّ بكل مافعل * إن الجزاءَ حقّ من جنس العمل

العظة الخامسة والعشرون

(الطائر)

أنثى من الطير بعد عقم * جاءت بفرخٍ والعقمُ عارُ
فبدّلتْ حزنها سرورا * وهكذا تفرح الصغار
كانت عليه تغارُ حتى * تكادُ من نفسها تغار

(١) الحلم والروية

بعـد أن غرّد الأغاريدَ حينا * كفَّ عنها وصدَّ بَعْدَ اقتضاب
فـدعاهُ الراعِى وقال رُوَيْداً * قطعُكَ الصوتَ لم يكن بصواب
هل لتركِ النشيد يا بلبـلَ الأفــراحِ داعٍ جُدْلى بردِّ الجواب
قال مادامتِ الضفادعُ هذى * فى نَقيق فَإنَّنِى فِى اضْـطرابِ
قال دَعْها تهذِى وتهرِفُ جهلا * فهى ليست معدودةً فى الحساب
فامض فى شَدْوك الرقيق وغرِّدْ * لا يضرُّ السحابَ نَبْحُ الكلاب

العظة الرابعة والعشرون

(الغلامُ والمرآة)

قد شبَّ فى إحدى القُرى غُلامُ * لم تُعطِـهِ كمالَهُ الأيَّامُ
فنظر المـرآةَ وهو يخطــو * ولم يكن قبلاً رآها قطّ
فَـزَاد حَـيْرَةً بمـرأى ذاتِهِ * لمـا رأتها العينُ فى مِرآته
وحين أبدى ثغرُه ابتسامَه * صوّرها الشكلُ الذى أمامه
فعاجلتْـه عند ذاك فــكره * كعادة الأطفال أخفتْ بِشره
فغيرتْ صـورتَه فى الحـال * وغادرته ضُحْكَة الأطفـال
فـزادَ فى نفـورِهِ من شكلِهِ * لأنه قــلَّدهُ فى فعــله

فالظلم طبعٌ فى نفوس الناس * والعدل خُلق فى بنى العباس
فغضِـب الـوزيرُ ثم أَمَرَا * بهـدْمه حتى أزالَ الأثَرَا
وعندما جاء الخليفةَ الخبَرْ * تبدّلَ الصفاءُ منـه بالكَدَر
وقال للوزيرِ ماهذا الشطط * كلُّ الذى فعلتَه عَيْنُ الغلط
أعِدْ إلى جارِىَ ذاكَ المنزلا * شيمتُنا فى قومنا أن نعـدِلا
حتى يَرَى بعدِىَ كلُّ الناس * أنّى حفظتُ الملكَ بالقسطاس
وتسمع الذكرى بعدلِ البانى * فى ملكه والذكرُ عُمـرٌ ثانى
على الفـتى آثارُهُ تدُلّ * بقـدرها يُحتَقـر أو يُجَـلُّ

العظة الثالثة والعشرون

(البُلبُلُ والراعى)

حَلَّ راعٍ يوماً بروض أريض * ناضرِ الزهرِ ذى مياهٍ عِذاب
حولَ أشجاره الجداولُ تجرِى * كخلاخيلَ فى كعوب الكِعاب (١)
نَظَـرَ البـدرَ فى السماء جلياً * لم يعارضه عارضٌ من سحابِ
فأطال الجلوسَ ينظـر بالفِكْـرة آلاءَ ربّـه الوهّـاب
وإذا بُلبُلٌ على الأَيْكِ يشـدو * يمْـلك السامعين بالإعجـاب

---

(١) الأبكار

العظة الثانية والعشرون

(عدلُ خلفاءِ الاسلام)

شَيَّدَ فى زمانِه المأمونُ * قصرًا أبانت حسنَهُ الفنونُ
لم يحكِه قصر من القصــور * فى سالف الأيامِ والعُصورِ
وكان كوخٌ (١) بإزاء (٢) القصْر * كَكَلَفٍ (٣) يَشِينُ وجهَ البدرِ
لِحَائِكٍ (٤) مِن الوَرَى فقيـر * مبتَهِـجٍ بعيشِـه النضـير
خالٍ من الدُّيُونِ والمتاعب * مقتنـعٍ بقـلّةِ المكاسب
فأمر الخليفــةُ الــوزيرَا * يومًا إلى الحائكِ أن يسيرا
ليشترى الكُوخ من المسكينِ * على رضًـا بالثمـنِ الثمين (٥)
فرفضَ الحـائكُ ذاك البيعا * ولم يوافِقـه عليـه طَـوعا
وقال إنى قانــع بمـا لِى * مغتبط (٦) بحسنِ هـذى الحالِ
فمنزلى لستُ غنـيًّا عنْـهُ * فكيف أرْضَى بالخُروجِ مِنْهُ
فيـه تُـوفِّى والدى وإنّى * وُلِدتُ فيــه فإليـكَ عنّى
مولاى لا يُرضيه هَدْم دارى * ظُلمًا وهَتْكُ حرمـةِ الجوارِ
فإن ظلمتَنى شكوتُ حالى * إليـه كى يُنصفَنى فى الحالِ

---

(١) عش (٢) جانب (٣) النقط السوداء فى سطح القمر (٤) نسج
(٥) الغالى (٦) الغبطة تمنى مثل ما للغير والمراد النعمة

فاستشعر الخوفَ واهتزت فرائصُهُ * لَمَّا رنا(١) حَوْلَه والليثُ غضبان
فرقّ قلبًا عليه ثم قال له * عفوتُ عنك فلا تأخذْك أحزان
أراكَ من كل همّ قد خلوتَ فما * أفضى إلى مرح والدهرُ يقظان
قد نلتَ حظّك دوني كيف ذاك ولي * على وحوشِ بقاعِ الأرضِ سلطان
فقال دَعني إلى غُصنى أطيرُ وخُذ * منى الجوابَ بشرح فيه تبيان
فنالَ منه الرِّضا وانسلَّ من يده * والقلبُ بالأمن بعد الخوف ملآن
فقالَ وهْو على الأغصانِ ينصحه * والنصح فى الخَلق إجمال وإحسان
إنى نزعتُ لباسَ الشرّ عن خُلق * فما على الخلقِ يومًا منهُ طغيان
أعفو وأصفحُ عنهم خائفا وجِلا * بِرًّا وتقوى وبعضُ الخوفِ إيمان
فعشت فى فرَح لا شئَ يؤلِمُنى * ولا يكدّرنى ما عشتُ حِرمان
أقاسمُ العيشَ أهلى لستُ أمنعُهُم * رِفدى(٢) وحسنَ الوفا منى وإن خانوا
أنامُ ملءَ عيونى عن عيوبهمُ * وأنت تبحثُ عنهم أينما كانوا
فصار عيشك عيشًا كلُّه كدَرٌ * وصار ربحك ينمو وهو نُقصان
أسعى لنفسى وتسعى للطعام وما * سيَّانِ نفس لها يُسْعَى وجُثمان
فانهَضْ إلى الروح واستكْمِل فضائلَها * فالمرء بالرُّوح لا بالجسم إنسان

(١) نظر (٢) عطيتى

فباعَهُ بأبخسِ الأثمانِ * وهذه من شِيمة الإنسان
فنُقِلَ الكلبُ لدار الشارى * وقلبُهُ لحزينٌ فى انكسار
وبين جنبيه من الفِراق * نارٌ كوجد المُغْرَمِ المشتاق
حتى إذا ماطلعَ الصباح * وابتهجت بنُورِه الأرواح
أسرعَ يجرى هائماً متيَّما * يَؤُمّ ذاك الصاحبَ المقدّما
قال له بائعُهُ غضبانا * إذهبْ فأنتَ مِلْكُ غيرى الآنا
وكان فى المنزلِ هِرٌّ هَرِم * فقال للكلب لِماذا الندم
ماأعجبَ الدهرَ ومن عجائبه * تقلُّبُ الإنسان فى قوالبه
لاتخدَعِ النفس برأى الظاهر * فالله يجزى المرء بالسرائر
وارضَ بما قدّر فى الوجود * واقنعَ إذاماشئت بالموجود
لاخيرَ فى الناس على الإطلاق * فودّهم ضربٌ من النفاق

العظة الحادية والعشرون

(الليثُ والسِنجابُ)

قد كان يلعبُ سنجابٌ على شجرٍ * وثْبا على كل غصن وهو جَذْلانُ
فأفلتت منه رِجلٌ مَرَّةً فهوى * واصطكّ بالليثِ حين الليثُ وسنانُ (١)

(١) نعسان

كلّما صار قُربَهــا خلّصتْها * وَثَبَاتٌ منها كخطفِ البُروق
تترامى وتنْهَبُ الأَرضَ حتى * كاد يُودِى بها جَفافُ العُروق
فرأت أرنبا فقالت أجِرْنى * يا صـديقى بحقّ ودٍّ وثيق
قال عُذرا فزوجتى فى مَخاضٍ * وعلى الزوج كم لها من حقوق
فتولّت والكلب يقفو إلى أن * مرَّ ثورٌ بِقُرْبها فى الطريق
فشكت حالها وقالت أجرنى * يا شديدَ القُوَى غَصِصْتُ بريقى
قال إلفى نوى الرحيلَ ومالى * بعدما ذاب من محبٍّ شفيق
فرأت أن تَشتَرِى النفسَ لكن * لاحظتها عنايةُ التـوفيق
فانبرى للعدوِّ تيسانِ لمَّا * رأياها على أشـدِّ الضـيق
نجّياها من بعد أن صدّ عنها * كلُّ مستنجَدٍ وكلُّ رفيـق
ثم قالا لها دعى كلَّ خـلٍّ * يخدَعُ الناسَ بالكلامِ الرقيق
إصرِفِ النفسَ عن كثيرٍ من النا * سِ فما كلّ مَنْ ترى بصديق

العظـــة العشرون
(الكلبُ والهرّ)

كلبٌ أمينٌ عاشَ عند صاحبه * دهرًا وكان قائمـا بواجبـه
فلم يصُنْه بعـدَ تلك الحال * والمـرءُ مفتونٌ بجمـع المـال

وقد أخذتُ عن كلاب الدُّور * تيقُّظى لعُقبةِ الأمور
فصرت شيخًا عاقلا حكيما * بكلّ أحوال الورى عليما
عاشرتُ أقوامى على المَناصحه * عاملتُ من عاملتُ بالمسامحه
فنلتُ حبًّا من جميع الناس * وسُستُهم بالحلم والقسطاس
الباس من نتائج المصاعبِ * وحجّةُ العقولِ فى التجاربِ

العظة التاسعة عشرة

(الأرنبُ وأصحابُهُ والتيسانِ الجبليانِ)

قيل كانتْ من الأرانبِ أنثى * تبتغى صاحباً يُرجَّى لضيقِ
وهمُ الناسُ ما بهم من حبيب * يوم ضَيْم وما بهم من صَدوق
تتلقى كلًّا بأهلًا وسهْلا * وتلاقى كلًّا بوجهٍ طليق
أيُّما أرنبٍ يمُرُّ دعتْهُ * للقِرى عندها بعُشْبٍ أنيقِ
وبماء يروى الأُوامَ(1) قَراحٍ * راق حتى صَفا صفَاءَ الرحيقِ
طوّقتْ جيدَ كلّ من صَادفَتْهُ * وامتلاكُ الأحرارِ بالتطويق
بيْنَما فى الصَّبَاحِ كانَتْ بجُحْرٍ * قرّةَ العينِ هاجها صوتُ بوق
ساقها الخوف للفِرار ففرّت * فاقتفاها بالعدْوِ كلُّ سَلُوقى(2)

(١) العطش (٢) كلب صيد

العظـــة الثـامنة عشرة

(العالم والمزارع)

قصــةُ فلّاحٍ حكيمٍ فطِنِ * محنَّـك يَدْرِى بسر الزمَنِ
تقصــدُه الناسُ من البلاد * فى طلب الحكمةِ والإرشاد
تراهُمُ لديهِ فى جلوسِهــم * كأنّمـا الطـيرُ على رءوسهم
وكان كلُّ جملة يقولها * سُلَافة تُسـكرهم شَمــولُها
وكلُّ إرشــاد وكلُّ وعْظ * يلعَبُ بالعقلِ لِسحرِ اللفظ
يَمَّمه فتًى من الأخيـار * قدْ دَرس العلمَ بِلا اختبار
قال له عمّن أخذتَ الحكمه * ومن تكونُ من رجال الأمّه
أجاب ما اتخذتُ لى أستاذا * ولا جعلتُ الكُتْبَ لى مَلاذا
بل حكمتى فى فكرى المطيعة * هـذّبتُها بخبْرةِ الطبيعــة
عينُ الفتى لعقلِه دليل * وعقلُه لذاته تكميل
وكم لنا فى الحيونِ الأعجم * علم صحيحٌ للذى لم يعلَمَ
عن الحَمَام قد أخذتُ الألفَه * فارتفعتْ بها شروطُ الكُلْفه
والنملُ قد أفادنى ادّخارا * والثورُ قد أكسبنى اصطبارا
ورقةُ الطبع من النِعاج * ورأفةُ القلب من الدَّجاج

إنّ الأَديبَ الحُرَّ حربُ زمانه * تُلْفيهِ فى الدنيا بغير نصير
وحياتُه فيها شقاءٌ دائم * وكذا الحياةُ متاعبُ التحرير
ماذنبُهُ إلاّ الكمالُ وأنه * فى الدهرِ لم يَسْمَحْ له بنظير
كُتِبَ الشقاءُعلى الحكيم الفيلسو * فِ لعفةٍ فيه وحسنِ ضَمير
تُروى حكايتُه النفوسَ حقائقا * تُنْبِي ولا ينبيك مثلُ خبير
قدعاش هذا الفيلسوفُ مهاجرا * لبلادِهِ ومفارِقا للدُّور
حتى اعْتَدَى ظُلما عليه قومُه * ونفوهُ عن وَطنٍ بدعوى زور
فنأى وشطَّ به النوى متغربا * مستسلما لحوادث المقدور
فرأى طيورا فوق هز حَلَّقَتْ * ينقرنه والحرُّ مثلُ أسير
ويصفْنَه بجنايةٍ فى قومه * تدعو إلى التحقيرِ والتشهير
فرثى الحكيمُ الفيلسوفُ لحالِهِ * فى ذُلِّه وجَناحِهِ المكسور
وأقام يسألُه عن الذنب الذى * ألقاهُ فى همٍّ وسوءِ مصير
فأجاب لا ذنبٌ علىَّ وإنّما * فضلى قتضَى من دونِها تحقيرى
أنافى الظلامِ أرى الخفىّ بناظرى * وهى التى لاتهتدى فى النور
لوكنت أشبِهُهَا وتُشبِهُنى لَمَا * حقدَتْ ولكن فُقتُها بكثير
ماضرّنى حسدُ اللئامِ ولم يَزَلْ * ذُوالفضلِ يحسدُه ذَوُوالتقصير

رأى ثلاثةً من الغِلْمـان * وراءها يجـرُون فى البستان
جَرَوْا وكلٌّ مُولَعٌ بختْلها * لأنّهـا أغرتهـمُ بشـكلها
وأوقعوها فى شِراكِ الصائد * بحيـلةٍ بعـد عنـاءٍ زائد
وشدَّ ذا الرأسَ وذا الأوراكا * وأوردُوها الحتفَ والهلاكا
وشاهد الصرصُر هذا فاعتبر * وقال إن العُجْبَ آيةُ العِبر
وكلُّ مَن يظهرُ بين النـاس * بالفضل كم قاسَى وكم يقاسى
أشهَدُ أنّ الاختفاءَ جُنّه(١) * من كلّ شرٍ والظهورُ جِنّـه(٢)
وقد سمعتُ مثـلا مشهورا * حُبُ الظهورِ يقصِمُ الظُّهورا

العظة السابعة عشرة

(الفيلسوفُ)

يدرى بِسِرِّ النـاسِ كلُّ خبير * والنـاس كالأيام فى التغيـير
فدَعِ النفوسَ المائلاتِ إلى الهوى * تسعَى كما شاءتْ يدُ التقـديـر
وإذا تشابهت الأمورُ على الورى * خفيتْ عليهـم حكمةُ التدبير
لاشئَ أخفَى فى الضياءِ من الهُدَى * إن كنتَ عنـد الحق غير بصير
هذا الذى ترك العِبادَ طرائقا * فى أمرها والأمرُ غير يسـير

---

(١) وقاية (٢) جنون

حتى إذا آنسا ماءً وقد كَرَبت * يَدُ المنيـــة لَّلَيْثَين تغتـال
جَدًّا وحاول كلٌّ سبقَ صاحِبِـهِ * حتى استشاطا وساءت منهما الحال (١)
تصاولَا ثم كَلَّ العزم فاصطلحا * كما تصالح إثرَ الحـربِ أبطـالُ
وبادرا المـاءَ مزدادا أُوَارَهُمـا (٢) * فكان ما حسبا ماءً هو الآل (٣)
الشرُّ طبعٌ ودنيـا المـرءِ قائدةٌ * إلى الدنيئاتِ والأهواءُ أهوال

العظة السادسة عشرة

(الصُّرصُر)

قد كان في روضٍ أنيق صُرصُر * مختبِئٌ في تُرْبة لا يَظْهَـر
رأى فَراشـةً بهِ تطِـيرُ * من زَهرةٍ لِزَهرةٍ تسِـيرُ
وحيثما تختـالُ في البُستانِ * تسبِي النهى بحسـنِها الفتَّان
فحـزِنَ الصرصرُ لمـا شهِدا * جمالَهَا وبات يبكي حَسَـدا
وقال فـرْقٌ بينهـا وبيـنى * لحُسْنِ عينِهـا وقبْـح عيني
وليسَ مثلِي من ذوِي القرائح * ولا أنا صاحبُ عقلٍ راجح
وليس لي في العالَمين ذِكْر * وعَلَّ عندهم وجودِي نُـكر
وبينما يهجسُ هذا الهاجسُ * في فكرِهِ وكلُّه وسـاوِسُ

(١) اغتاظ (٢) العطش (٣) السراب

فالآن أَنْعسُ ملءَ العينِ مُتَّكِلاً * مادام يُرْزَقُ يقظانٌ ووسْـنَان
فلازمَ الكُوخَ(١) لم ينهَض لرزقِ غدٍ * وباتَ وهوخلِيُّ البطنِ خَمصَان
وكمـا مَرَّ حِينٌ غرَّهُ أملٌ * وكم بآماله يَغْـتَرُّ إِنْسَـانُ
وشاهدَتْ عينُه في نظرةٍ عَرَضت * عُشَّ الطيورِ وفيه الصَّقْرُ غَضْبَان
يدعـو ربيبَته هُبِّي إلى عمـل * تَقْضِينَه فَضَياعُ الوقتِ خُسْرَان
إِنِّى أُعِينُ بنفسى كلَّ ذى وَهَن * ولا أُعينُ الكُسالى أينما كانوا
خلائق الله أَعوانُ النشيط وهم * على الفتى القاعد المحروم أعوان
وطارَ من بعد ماأدّى مواعظَ لا * يصوغُ أمثالَها قُسٌّ وسَحْبان
فأدركَ الرجلُ الدرويشُ متعظا * أَنَّ التنسُّكَ دونَ السعيِ حِرْمان
لن يُرْزَقَ المرءُ عونا فى مطالبـه * إلَّاإذا مااغتدى والسعيُ مِعوان
دعِ التكاسل فى الخيرات تطلُبُها * فليس يَسْعَد بالخيراتِ كسلانُ

العظة الخامسة عشرة

(الأسـدان)

قَد التقى أَسَـدَا قَفْرٍعلى سغَبٍ(٢) * لا ماءَ ثَمَّ(٣) ولا فَىْءٌ وأَدْغالُ(٤)
فنقَّبَا عن ميـاهٍ يرويان بهـا * صَداهُما والصَّدَى فى الحرِّ قَتَّال

---

(١) العش (٢) الجوع (٣) هناك (٤) كثرة النبات

تسعَى لنيل العيش بالأعمال * ماأضيقَ العيشَ على الرجال
أفاضلُ الرجالِ حرب الزمن * والدهرُ مُغْرًى بالأديب الفطِن
ومن تراه عاقِلًا لبيبا * يعيشُ طولَ عُمْـرِهِ كئيبا
عَلَى الفتَى ذكاؤه محسوبُ * وكلّ مايَجْـرِى لَهُ مكتوب

العظة الرابعة عشرة

(الدرويش والقُبَّرَة والصَّقْر)

قد ادَّعَى الزهدَ فى دنياهُ أنسان * وباتَ وهْوَ عَدُوُّ السَّعْى كسلان
وقد تَزَيَّا بزِى الناسكين بِلا * نُسْك وأَضْحى وَلِيًّا وهْوَ شيطان
وصار يَسْأَلُ فضلَ الناسِ تقْذِفُهُ * إلى التسوُّل أمصارٌ و بُلْدان
فذاتَ يوم رأى فى العُش قُبَّرَةً * صغيرةً ما لها حَوْلٌ ولا شان
وأبصر الصَّقْرَ يسعَى بالنشاط وفى * مِنقارِهِ من صنوف الحبّ ألوان
فصار يُطعِمُها حتى إذا عطشت * أتى بماءٍ زُلال وهو جَذلان (١)
فقال فى نفسه الدرويش معتبرا * يارَبِّ أنت بِكلّ الخلقِ رَحْمنُ
عَمَمْت يارب بالنعمى فلا أحدٌ * إلَّا وأَنتَ له فى الضيقِ مِعوان
جعلت فى قلب أقسى الطير مرحمةً * على الضعيف وهذا منك إحسان

(١) فَـرِحٌ

العظة الثالثة عشرة

(الهِرّان)

هِرّانِ فى بعضِ البيوتِ سَكَنَا * واختلفا نحافةً وسِمَنا

فكانتِ النعمةُ للكبيرِ * تُكسِبه نُعومةَ الحريرِ

ينامُ ملءَ العينِ فى مهدِ الكسلِ * وكلما اشتاقَ إلى الأكلِ أكل

يجرى وراءَ الفأرِ آنًا يُمسِكُهْ * مُداعِبًا وبَعْدَ حين يَتْرُكُهْ

فجاءه يومًا أخوه يشتكى * من سُوءِ حظٍّ فى زمانٍ مُهلِكِ

يقول كم ألقى الأذى والنِقَمَهْ * إذا سعيتُ فى طِلابِ اللُّقمه

قد فاتنى المأكولُ والمشروبُ * وشدّ ما أجهدنى اللُّغوبُ

أجابه لكنّنى بِسَبْكى * أعيشُ مجدودًا[١] بغيرِ شكِّ

أجاسُ فى عشيرتى بأدبى * مُداعِبًا ملاعبًا بذنبى

أجمعُ من طعامهم ما لذّ لى * وذاك من بعضِ صنوفِ حِيَلى

والفأرُ لا أنالُه بضيْرِى * تركته لكلّ هِرٍّ غيرى

لأننى أُغْمَرُ بالصِّلاتِ[٢] * من صِلَتِى[٣] الكرامَ فى الحياة

وأنت فى الدُّنيا كثيرُ الجِدّ * والجدُّ فى زمانِنا لا يُجْدِى

---

(١) محظوظا غنيا (٢) العطيات (٣) الصلة المواددة

العظة الثانية عشرة

(الفلاحان والسحابُ)

رأى السحابةَ فلاحٌ فراحَ إلى * أخيهِ وهو كئيبٌ كاسِفُ البال
فقال قِفْ وتأمَّلْ فى السحاب تجِدْ * به السوادَ الذى يأتى بأهوال
ففيه للزرعِ أتلافٌ ومنفعة * يغلُو الرخيصُ به أو يرخُصُ الغالى
أجابه تلك أرزاقٌ مقسَّمَة * والمرءُ مابين إعزازٍ وإذلال
غدا يُفيض علينا فى مزارعِنا * فيضًا من الماءِ بل فيضًا من المال
هو السحابُ أتى بالخير عن عجَل * ترى العِطاشُ به تحقيقَ آمال
وطال بينهما ذاك الجدالُ إلى * أن قشَّع الريحُ تلك السُّحْبَ فى الحال
فقال لابنِ أبيه بعد ما أخذَت * تلك الغيومُ التى مرت بترحال
إنّ الّذِى فى ضمير الغيبِ مستترِ * فلا يفيدُك فيه كثرةُ القال
دع المقادير تجرى فى أعِنّتِها * ولا تبيتَنّ إلّا خالِىَ البال
ما بين طَرْفَةِ عين وانتباهتِها * يُغيِّرُ اللهُ من حالٍ إلى حال

وكان راعيها يغنى طربا * فى ظل أغصان تهزها الصبا
قال بلا شك وعن قريب * أرى القطيع مغنما للذيب
وجاء ذئب قاصدا عدوانا * فقام كلب وحمى الخرفانا
وهب كلب غيره سريعا * يدرأ من يهدد القطيعا
فدهش الملك وقال عجب * رعية غفل وراع طرب
يأيها الراعى أتثوى(١) لاهيا * بين الخطوب تنشد الأغانيا
فقال يامولاى كل حازم * من الولاة فى هناء دائم
إنى انتقيت أصدق العمال * لكل أعمالى فقر بالى
أخذتهم على الأعادى حزبا * من خشى الذئب أعد كلبا

العظة الحادية عشرة

(الحمل(٢) والذئب والليث)

حمل أبصر ذئبا فى الفلا * ورأى الشر بدا من مقله
فاعترته رجفة من خوفه * وتمشى حائرا فى خبله
فاحتمى بالليث كى يحفظه * ورأى فى الليث أقصى أمله
فأتاه الحتف من مأمله * وانقضى مايرتجى من أجله
رب من ترجو به دفع الأذى * عنك يأتيك الأذى من قبله

(١) ثوى يثوى أقام (٢) الحمل بمتحتين ولد الضائنة فى السنة الأولى والجمع حملان

العظة العــاشرة

(الملكُ والراعيانِ)

بَعْضُ الملوك مُلْكُهُ قد ارتبك * فصار يشكُو ما جَرَى بهِ الفلك
إذا أرادَ الخــيرَ للرَّعايا * لم تأتِه منهم سـوى الرزايا
وإن يُرِدْ سَلْمًا يلاقِي حَرْبا * وان يُرِدْ سَهْلا يقابِلْ صَـعْبا
وبينما ينظــرُ في البِقــاع * إذا بأغنـام يليهـا رَاعى
تمشِي بهاتيكَ الرُّبا حَيَارى * كأنَهَا من جوعِهَا سُـكارى
وَهوَ وَحِيــدٌ مالهُ مُعِينُ * في قفرة ليسَ بها قطينُ
وكلما سارَ رأى الذِئابا * تأخذُ منه الْغَــنَمَ اغتِصابا
فعنــد ما عايَنَهُ المليــكُ * قال إذَنْ لى في الورَى شريكُ
إنَّ الرُّعاة كالملوكِ تعَبـا * لم يَبْلُغوا من الزمانِ أربا
الهمُّ في الدنيـا بلا نزاع * سِـيَّانِ فيه ملِكٌ وراع
وبعــدَ أن مَرَّ زمانٌ قَدِمَا * أرضًا رأى فيهـا لِرَاعٍ غَنَمَا
وهــذه الأرضُ من الربيع * قد كُسِيت بالسندُسِ البديع
والشاءُ فيهـا آمناتٌ تَرْتَعُ * مع النَّتَاجِ لا ترَى ما يُفْزِعُ
بطيئــةُ المشى ثِقالُ الجسْمِ * لِمـا عليها من كثيرِ الشـحم

فأَحضر الكتبَ لا علمٍ لديه سوى * أَنّ الكتّابَ خفيفٌ أو به ثِقل
وصار يحضرُ أَهلُ العِـلمِ ساحتَهُ * على موائدَ فيها السَّمْنُ والعسل
ومِنْ عوارِفهِ لا مِنْ معـارِفه * صارت تُصَبُّ على راحَاتِهِ القُبَلُ
ولا معارضَ منهم إنْ بدا خطأٌ * ولا مُجادِلَ فيهـم إن بدا خطَل
ويَرجعون إليــه فى العــلوم وما * لَدَيْه مِن كأسِها نَهْـلٌ(١) ولا عَلَل(٢)
وبالتمــلُّق قالوا لم نجِــد أَحدًا * جاراك فى العِلمِ حتى النخبةُ الأُوَل
فصار يَعْجَبُ كيف المالُ أبلَغَهُ * تلك المكانةَ والجُهَّالُ لاتصِــلُ
وأبصرت عينهُ إذ ذاك وحشَ فلاً * كلُّ الطيورِ له تسـعَى وتحتفل
تشدو بأَصواتها والوحشُ يَسْمَعُها * بلذّةٍ وهو مِن تغريدِها ثمِل
إذا أجادتْ أمال الرأس مُضْطَرِبا * أولم تُجِدْ كان منه الرأسُ يعتدِل
حالٌ رأى الجاهلُ المثرى بها عجبا * وحادثٌ رِيعَ منه ذلك الرجُل
فقال كيفَ طيورُ الجوِ يرأَسهـا * وحشٌ ويرهَقُها حُكْمًا فتمتثِـل
فقيل ذاك لأن الوحش يُطْعِمُها * ممـا يَصيدُ وما مِن طبعهِ البَخَل
من أَجْل ذاك أَجلُّوه ولستَ ترى * بين البريّةِ حُبًّا ماله عِلَلٌ
أُنظُرْ لنفسِك أسديت الصنيعَ إلى * قومٍ فصرت وأَنت السيدُ البطل
والناسُ من يلق خيراً قائلون له * ما يشتهِى ولأُمِّ المخْطِئِ الهَبَـلْ

(١) النهل الشرب الأول وبابه طرب (٢) الشرب الثانى يقال علل بعد نهل

كان يُزْرِى بشَدْوِها إن تغنتْ * بأَغانِى الأشـواقِ والأشجان
كلمـا أَطرَبت تلَقّ غِنَـاها * بِصَـفيرٍ يُصِمُّ للآذان
وتمـادَى على الغُرورِ بجهْلٍ * جاءهُ من وساوسِ الشيْطانِ
فأَتَتْـهُ الطيور بعـــد ائتِمَارٍ * قُلْن يا مُفْرَدَ الطيورِ الحِسَان
قدمَلِلْنَا منك الصفيرَ ومِلْنَـا * لنشـيدٍ يُزْرِى بعزْف القِيان
فاذا كنتَ فى الغِناءِ مُجيـدًا * فتفضلْ ببعضِ تلك الأَغانى
نأخذُ الفَنَّ عنك صوتا فصوتا * مثنياتٍ عليك فى الأَفْنَان
فعراهُ من أَمْرِهِنَّ ارتبـاكٌ * ورأى الحقَّ غالِبَ البُهْتان
قال مِنّى يحلو الصفيرُ وأمّا * غيرُ هذا فليْسَ فى الإِمكان
قالت الطـير للحقيقة جئْنـا * أىّ دَعْوى صحّتْ بِلاَ بُرَهان
أظننتَ الأوهامَ تُغْنِيكَ شَيئًا * عند ما تنجلى شموسُ البيان
كلُّ مَنْ يدَّعى بمـا ليس فيه * كذّبتْهُ شواهدُ الامتحان

العظة التـاسـعة

(وحشُ الجبلِ والطيورُ)

حِكَايةٌ عن غَنِيٍّ مَالَهُ عَمَلُ * حُبُّ التظاهرِ فى الدنيا له شُغُلُ
بَدا له أنّ دعوى العلمِ رائجةٌ * منه إذا باتَ للآدابِ ينتحِلُ

إذا بنحـــلةٍ تدانَتْ منهـا * وقـد تلاهَتِ الفتاة عَنْهـا
حَطَّتْ على مَبْسِمِها النضير * ولَسَـــعَتْها لسعةَ السَّـــعِير
فأَعْولتْ واستصرختْ من الأَلم * فجاءها بسرعةٍ كلُّ الخَـــدم
فأَخذُوا النحلةَ للعِقـابِ * بلا سُـؤَالٍ وبِلاَ جـواب
فقـالت النحلةُ ياأصحـابُ * ليس لمثـلى ينبغى العِقابُ
رأيت فى مبسِمِها احمـرَارا * ظننته فى ثغـــرها أزْهَارا
وليسَ بين رِيقها وشهْدِى * فرقٌ فكيف لا أراه وِرْدِى
فأطربَ الجوابُ تلك العَذْرَا * وعندَها قالت قِبلتُ العُذْرا
سامَحْتُها فى لسعِها الخفيفِ * كرامةً لقولِها اللطيفِ
فانظرْ إلى حلاوةِ اللِّسَانِ * والسحرِ فى المنطِق والبيَان
فرُبَّ لفظةٍ أَفادتْ نعمـــه * ورُبَّ لفظـةٍ أَتتْ بنِقْمَه

العظة الثـامنـــة

(الببَّغَـاء)

فرَّ من أَسْرِه إلى بُسـتانِ * بَبَّغـا كان زينة للجِنَان
فرَّ من نِعْمَـــةٍ وأَمْنٍ حنَانَاً * واشتياقا لرؤيةِ الأَوطَان
وادَّعَى الفنَّ فى الطيورِ فقالَتْ * أَنَّه رَبُّ صـــنعةِ الأَلحان

نافشَ الرِّيشِ باسطَ العُرفِ كِبْراً * ثانيَ العِطْفِ مُعجَباً مُختالا
عَبَّ من خمرةِ الغُرورِ فأضحى * بينَ جمعِ الدَّجاجِ يُبْدى الدَّلالا
ثم وافى نَسْــرٌ فحطَّ عليــه * واحتواه بمخلبيْــه وشالا
ورآه المهزومُ فى مِنسَرِ النَّســرِ فأبدى سرورَهُ واســتطالا
ومضى يملأُ الجهاتِ صِياحاً * وأقامتْ له الدّجاجُ احتفالا
باتَ ذاكَ الضعيفُ فيها زعيماً * حينَ ولّى حكمُ القويّ وزالا
نافذاً فى الدَّجاجِ أمراً ونهياً * بطلَ القومِ حيث لا أبطالا
وإذا ما خلا الجبانُ بأرضٍ * طلبَ الطعنَ وحدَه والنِّزالا

العظة السـابعة

(الفتاةُ والنحلةُ)

فتــاةُ حُسنٍ ذاتُ دَلٍّ يبهرُ * كانتْ على كلِّ الحِسانِ تفخرُ
أكبرُ شئٍ شاغلٍ نُهــاها * أنْ تخدمَ الحُسنَ الذى حلاّها
تلبسُ فى المساءِ ما لم تلبسِ * وقتَ الصَّباحِ من ثيابِ السُّندسِ
إذا مشت فمِشيةُ اختيالِ * لسُكرِها من خمرةِ الدّلالِ
تمضى وتنثنى إلى المـرآةِ * فى الساعةِ المرّةَ والمرّاتِ
وبينما تلكَ الفتــاةُ تنظـرُ * فيها وقد رقّتْ وراقَ المنظرُ

يا حارِمَ النفسِ لجمع مالٍ * تُفنيه وُرّاثُ من الجُهّالِ
أَيجمعُ المـالَ امرؤٌ يمـوتُ * ومالَه فى المـالِ إلا القُوت
إن قلتَ إنّى جامع للخَلَف * كم خَلَفٍ يُقبَرُ قبـلَ السَّلَف
أوقلتَ أخشَى من صروف الفقرِ * مَن ذا الذى يأمنُ شرَّ الدهر
ما أقطعَ الآجالَ للآمالِ * وأسرعَ الآمالَ فى الآجالِ
قد كتبَ اللهُ على الحريصِ * أن يتركَ الأموالَ لِلُّصوص
يعيشُ بالتقتـيرِ فى دنيـاهُ * وعن غنًى يُسأَلُ فى أُخْراهُ
ماضرَّ من يبْخَلُ بالموجـودِ * لواشـترَى الحمدَ ببذْلِ الجودِ
فتلْكَ حَقًّـا حالةُ البخيـلِ * فى مالِه الكـثيرِ والقليـلِ
يدفعُ خيرَهُ بجلبِ ضـيرِهِ * مالُ البخيلِ دائمًـا لِغـيرِهِ

العظة السادســـة

(الديكان والنَّسْرُ)

قامَ ديكانِ يطْلُبانِ قتـالا * مِثْـلَ لَيثَينِ قُوَّةً وصِـيالا
فانجلى النَّقْعُ والذى نالَ فيـه * ظَفَـرَ النَّصـرِ للمفـاخرِ نالا
فتوارَى المهزومُ فى رُكنِ عُشّ * كادَ يُخْفِي عنِ العيونِ الظِّلالا
وتعالَى المنصورُ فى الطَّيرِ حتَّى * صارَ يرْقَى الرُّبا ويعْلُو التِّلالا

تَعـالَ أَحمِلْكَ فوق المَنْكِبَيْنِ إلى * مطالب الرزق أَبْغيها وتُرشِدُني
تَسْعَى بمسعاىَ أنى تبتغِى وأرَى * بناظرَيْكَ فهيًّا يا أخِى أعِنِ
عاوِنْ صديقك فى أمرٍ يُحاوِلُه * فالحُرُّ للحرِّ معوانٌ على الزَّمَنِ

العظة الخامســـة

(البخيل وابنه)

حكايةٌ عن رَجُلٍ بَخِيلِ * رَاضٍ مِنَ العيشةِ بالقليلِ
إنْ أَكلَ البيضةَ بعد عام * قال دُجَاجةٌ بلا عِظام
أسرفَ يومًا واشترى تفاحَا * وقصَدَ الدارَ به صَباحا
ووضعَ التفاحَ فى الخِزانه * وعَدَّهُ خوفًا من الخيانَه
وكان كلَّ لحظةٍ فثانِيَه * يُعيدُ ذلك الحسابَ ثانيَه
فيأكلُ المعطوبَ والقبيحا * ويتركُ الطيِّبَ والصَّحيحا
فذاتَ يومٍ نَسِيَ المِفْتَاحا * فى بابِ مُسْتَوْدَعِهِ وراحا
أَبْصَرَهُ ابنُهُ فجاء يعجلُ * وقال للأَصْحَابِ هيَّا وكُلُوا
ولبِثَ الغلامُ مَعْ أَصْحَابه * حتى أتَى الوالدُ من غِيابِه
وقال مثلى ماله لا يؤْكَلُ * ما بالُكُمْ فى صُنعِكم لم تعقِلوا
أجابه ابنُهُ أَبِى لاتغضبِ * فما أَكلتُ منه غيرَ الطيبِ

فما أجاورُ من وعرٍ سأقطعــهُ * وما تجاورُ من سهلٍ ستقطعه
فأمضيا الشرطَ لمّا استحسناه معًا * وراق فى عين هـذا الغِر موقعه
واصبح الليثُ مالاقاهُ يفرسُــهُ * وأصبحَ الفيــلُ مالاقاهُ يصرعه
وداوما الفتكَ حتى لم يقُمْ أحدٌ * إلّا وصــار خلاءً منه مرتعــه
وبعــد ذلك رامَ الفيلُ قسمتهُ * فكان فى طلب التقسيم مصرعه
وقال فى نزعه والأمرُ مرتبِــكٌ * قولًا من الحِكَم الغرّاءِ منبعــه
أوتيتُ ملكًا ولم أحسِنْ سياسته * كذاك من لايسوسُ الملكَ يخلعه

العظة الرابعــــة

(الأعمى والمقعد)

أعمى توطّنَ فى بعضٍ من المُدُنِ * وجارهُ مقعــدٌ فى ذلكَ الوطَن
كِلاهما يتمنّى المــوتَ معتقــدًا * بأنه مِنّــةٌ من أعظمِ المِنَنِ
وبينما ذلكَ الأعمى يسيرُ إلى * وجهِ الكريم بلا هادٍ ولا سكنِ
إذا به عثرتْ رِجلاهُ عن خطأ * بذلك المُقعــد المحفوفِ بالمِحَن
قال الضريرُ وقد ناداهُ صاحبُــهُ * ما كان هذا الشقا لو كنتَ تصحبنى
فقال كيفَ وعنكَ الضوءُ محتجبٌ * ولداءُ أعيا مكانَ السعى من بدَنى
قال الضريرُ ألَا لو كنتَ لى سندًا * متى أصبْنا بما نشكو من الإحَنِ

فأماتَه جُــوعٌ غَــدا * مَعَــهُ الغرامُ هو الغَرَامَه
وقَضى قتيــلَ حيــائه * و بِصَوْتِه حُرِمَ السَّــلامَه
أمَّا الغرابُ فإن يجُعْ * قامتْ لصَيْحتِه القيــامه
فلِذاك ما مِنْ لَحْظَــةٍ * إلَّا وما أُكُلُه أمامَــه
هــذا قبيحٌ نعيقُــه * في الدارِ بلَّغَــهُ مَرَامَه
والبُلْبُــلُ الشادي لحُسْــنِ نشــيدِه لاقى حِمامه
سُبْحانَ من قسمَ الحظو * ظَ فلا عِتَابَ ولا مَلامه

العظة الثــالثــة

(الليثُ والفيلُ)

أرادَ لَيثٌ هَصُورٌ أن يضُمَّ الَى * أملاكِه مِلْكَ فِيلٍ عَزَّ موضِعُهْ
ولم يَشَأْ حَربَهُ كي لا تقومَ بِهــا * عليــه للفيــلِ أنصــارٌ تمــنعُه
أمْضَى إليه وزيرًا ثعلبًا فطِنًــا * عنــد المهِمّاتِ يدعوهُ فينفعُــه
فأحضرَ الفيــلَ في ركبٍ يُجِلُّهُ * و بالغ الليثُ في الإكرامِ يخــدعُه
وغــرَّهُ بعبــاراتٍ مُموَّهــةٍ * وفي اقتسامِ الأراضي باتَ يُطْمِعُه
وقال إنّي نويتُ الغزوَ فانوِ مَعِي * وما أَصَبْنا إليْنا كان مرجعُــهُ

العظة الاولى

(الطَّاوُسُ)

قد أَظْهَرَ الطَّاوُسُ إِعْجَابَهُ * واخْتَالَ بَيْنَ الوَرْدِ والاسِ
يَفْتَتِنُ النـاظرُ من شكْلِهِ * بحُسْنِ رِيش الذَّيْلِ والراسِ
لكِنَّ عُصْفُوراً تصدَّى لَهُ * بالذَّمّ فى صَحْبٍ وجُلَّاسِ
وعَابَ منه الساقَ فى عُرْيِها * عَنْ ثَوْبِ ريش ناعمٍ كاسِ
فقامَ من حَوْلِهِمَا طائرٌ * يرميهِمَا بالمَنْطِقِ القَـاسِى
فقَـالَ كلٌّ منكُمَا مُعجَبٌ * وغافِلٌ عن عَيْبِـهِ ناسِ
لَوْ نَظَرَ النَّـاسُ إلى عَيْبِهِم * ما عَابَ إنسانٌ على الناسِ

العظة الثـانيــة

(الغُرابُ والبُلْبُلُ)

سكَنَ الغرابُ وبُلْبُـلٌ * دَاراً بِهَـا حَلَتِ الإِقامه
وكِلَاهُما قد ضَمَّــهُ * قَفَصُ الحَفَاوَةِ والكرامه
لِلْبُلْبُـلِ التَّغْــرِيدُ مَا * أَحْلَى على النفسِ انسِجَامَه
يَشْـدُو ويلعبُ بالقُـلُو * بِ وبالنُّهَى لَعِبَ المُدَامه
ألهَى بنغمــةِ صــوته * أصحابَه فنسُوا طَعَـامَه

اهداء الكتاب

للجناب العالى عباس باشا حلمى الثانى خديو مصر

أَدَبٌ فى كِتابٍ وَعْظٍ جَليلٍ * لَيْسَ فى بابِهِ لَهُ مِنْ مَثِيلِ
حِكْمَةٌ كُلُّهُ ونُصْحٌ وأَمْثا * لُ هُدًى يَهتَدِى بها كُلُّ جِيلِ
عَلَّمَ الناسَ كَيْفَ تَكتسِبُ الأَخْـ * ـلاقُ حُسْناً وكيفَ حِفظُ الجميلِ
يَدْخُلُ الأُذْنَ غيرَ منتظرِ الإذْ * نِ دُخُولَ الشِّفاءِ جِسْمَ العليلِ
قُلْ لتاليهِ قد وجدتَ بَديلاً * مِنْ نَديمٍ مُسامرٍ وخَليلِ
ياعَزيزَ البِلادِ إنَّ كِتابى * مِلْكُ يُمناكَ يامليكَ النِّيلِ
إنْ تُقابِلْهُ بالقبولِ يُقابِلْ * يَدَ هذا القبولِ بالتقبيلِ
لا تَقِسْهُ إلى نَدَى كَفِّكَ الجَزْ * لِ ولا نَيْلِكَ الكثيرِ الجليلِ
واغْتَفِرْ قِلَّةَ الهَدِيَّةِ مِنْهُ * إنَّ جَهْدَ المُقِلِّ غيرُ قليلِ

تحيــة الوزير الجليل

أحمد حشمت باشا ناظر المعارف العمومية المصرية

لِأَحْمَدَ فى دارِ المَعارِفِ مَنْهَلٌ * يَفِيضُ بِفَضْلٍ لَيسَ يَبْلُغُهُ الحَمْدُ
أَشادَ إليها المَجْدَ والعِلْمَ والحِجا * وأَثْبَتَ حَقّاً أَنَّهُ الرَّجُلُ الفَرْدُ
شَمائِلُهُ العِقْدُ النَظِيمُ بِجِيدِها * وفى عُنُقِ الحَسْناءِ يَنْتَظِمُ العِقْدُ

بسم الله الرحمن الرحيم

فاتحـــة الكتاب

بَدَأْتُ بِحَمْـدِ اللهِ نَظْمِى وَأَمْثَالِى * وهيهاتَ يُحصِى نعمةَ اللهِ أمثالى
وَأَهدِى صَلَاتى والسَّلامَ لأحمدٍ * نبىِّ الهدى غَوثى وغَيْثِى وآمالى
أَتَمّ صـلاةٍ يَنْشُرُ المسكَ عَرْفُهَا * فيعبقُ ريَّاها على الصَّحْب والآل
وبعــدُ فهذى حكمةٌ ومواعظٌ * لتهذيب أخلاقٍ وإصلاحِ أَحْوَال
بِهِنَّ مَعَانٍ كالعيونِ سَـواحِرٌ * وألفاظُ دُرٍّ كُلُّ بَحْرٍ بها حال
فَلَوْ وَهَبَ الرحمنُ للدَّهرِ مَسْمَعًا * لَمَـال الى الإصغاءِ مُنشرِحَ البال
عنِ الطيرِ فى جو السماءِ أَخَذْتُها * وفى القفرِ عن ظَبْيٍ وذئبٍ ورِئبال
عَروسٌ تجلَّت للأحبةِ مَهْرُهَا * رِضاهُمْ وما مَهْرُ الأَحبةِ بالغالى
لخِدْمَةِ أَوطَانِى وإعلاءِ شأنِهـا * صَرَفْتُ نفيسَ النظمِ والعُمْرِ والمالِ
ومَا أَرتَجِى حُسْنَ الثَّناءِ مِن آمْرِئٍ * فيا لَيْتَنِى أَنْجُو من القِيلِ والقـالِ

مقدمة الكتاب

أحمد الله الذى ضرب الأمثال لخلقه . وأصلى وأسلم على نبيه الكامل فى خُلقه وخَلْقه . سيدنا محمد القائل بعثت لأتمم مكارم الأخلاق وعلى آله وأصحابه نجوم الهدى فى الآفاق

(أما بعد) فهذا كتاب خدمت به نابتة الوطن المحبوب . وأجريت فيه الأمثال والحكم المأثورة ليأخذوا منها ما يربى نفوسهم ويقوم أخلاقهم ويطبعها على أصوب آراء المتقدمين

وقد التزمت أن أجعل مواعظ كتابى أقاصيص قريبة التناول واضحة المعنى سهلة النظم يقرءونها بلا ملال وينتهون منها الى تلك الكلم الجوامع كأنها نهايات طبيعية لتلك المواضع العذبة المشرب

على أنى جاريت السابقين من كتّاب العرب وأدباء الغرب فجعلت حكم تلك العظات دائرة على ألسنة بعض الحيوانات المعروفة ليكون الاخبار بذلك أفكه والمواعظ أبلغ فى ضرب الأمثال وسرد الحكم

فان كنت قد وفقت الى ما يرضى أو بعض ما يرضى فما ذلك الا من فضل النهضة العلمية الحاضرة التى تزدهى طابعتها بحضارة عصر خديو مصر (عباس باشا حلمى الثانى) ورجال وزارته السعيدية ووزير معارفها الجليل .

هذا وانى أسأل الله عز وجل أن ينفع بهذا الكتاب مطالعيه الألباء . وأن يجعله خدمة خالصة فى سبيل مصر العزيزة وأبنائها النجباء

(ابراهيم العرب)

كتاب

آداب العرب

(تابع) فهرس كتاب آداب العرب

فهرس

كتاب آداب العرب

١٥

نظارة المعارف العمومية

كتاب
آداب العرب

تأليف

ابراهيم بك العرب

قررت نظارة المعارف العمومية طبع هذا الكتاب على نفقتها
وتدريسه فى المدارس الابتدائية للبنين والبنات
وفى مدرسة المعلمات السنية ومدارس معلمى الكتاتيب

المطبعة الأميرية بالقاهرة
١٩١٣